فى علم القافية

الدكتور
أمين على السيد
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الناشر
مكتبة الزهراء

فى علم القافية

الدكتور
أمين على السيد
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الناشر
مكتبة الزهراء

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :

احتل الشعر مكان الصدارة بين الفنون عند العرب ، قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانت القبائل تتباهى بشعرائها ، وكان كل شاعر من شعراء القبيلة يزهو بما تجود به قريحته ويعتز بما يأتيه من جيد الشعر.

و" قد حكى أن امرأ القيس نفاه أبوه لما قال الشعر. وغفل أكثر الناس عن السبب . وذلك أنه كان خليعا متهتكا شبب بنساء أبيه وبدأ بهذا الشر العظيم واشتغل بالخمر والزنا عن الملك والرياسة فكان اليه من أبيه ما كان ليس من جهة الشعر ، لكن من جهة الغى والبطالة ، فهذه العلة ، وقد جازت كثيرا من الناس ومرت عليهم صفحا "(١).

" وقد أوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير ... ثم عفا عنه واستمع اليه وهو ينشد قصيدته التى مطلعها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول   متيم اثرها لم يفد مكبول (٢)

ومما جاء فى لسان العرب لابن منظور فى مادة (شعر): وفى الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن من الشعر لحكمة فإذا ألبس عليكم شئ من القرآن فالتمسوه فى الشعر فإنه عربى ".

فقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم منزلة الشعر فى صدرالحديث

---

١) العمدة لابن رشيق ١ : ٤٣.

٢) المرجع السابق : ٢٣.

اذ قال وقوله حق : إن من الشعر لحكمة " وأرشد الى اتخاذه مرجعا يلتمس فيه المسلمون المعانى التى تلبس عليهم من القرآن . ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بالارشاد إلى ذلك بل ساق الدليل بعده فى قول فصل لايحتمل الجدل ولا الأخذ والرد ، ذلكم قوله عليه الصلاة والسلام " ... فإنه عربى " .

ومما ذكره ابن منظور بعد هذا الحديث الشريف قول عمر رضى الله عنه : " نعم ماتعلمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته " فعمر رضى الله عنه يشيد بفضل الشعر ويمدحه ، ويحله المكانة اللائقة به عند العرب ، فالشعر مفتاح يفتح القلوب وريح يستمطر الغيث ، ووسيلة يستعين بها الرجل لتحقيق طلبته ونيل رغبته إذا أجاد صاحبه القول ، وأتى بفصل الخطاب فى حكمة موجزة أو مدحة متزنة، أو قول معروف فيه الإيقاع الصوتى المحبب إلى الأسماع ، وفيه اللحن المؤثر الذى يجعل بعد العسر يسرا ويعود على صاحبه بالفضل الكبير والخير الكثير .

" وكان ابن عباس يقول : إذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه فى أشعار العرب ، فإن الشعر ديوان العرب . وكان إذا سئل عن شئ من القرآن أنشد فيه شعرا "(١).

ولما كان قرض الشعر هبة يمن الله بها على من يشاء من عباده سموا من ينبغ فيه مطبوعا وقد نوه به السابقون وهذا ابن رشيق يقول:

---

١) العمدة ١ : ٣٠.

" والمطبوع مستغن بطبعه عن معرفة الأوزان وأسمائها وعللها لنُبُوِّ ذوقه عن المزاحف والمستكره . والضعيف الطبع محتاج الى معرفة شيء من ذلك يعينه على مايحاوله من هذا الشأن(١).

ثم يقول : وسمعت بعض الحُذَّاق يقول : ليس للجودة فى الشعر صفة، إنما هو شيء يقع فى النفس عند المميِّز(٢).

ولابد للشاعر أن يأخذ عُدّته ، ويستكمل أدواته حتى يجيء شعره محققا لما يسوقه من أجله وقد قال الأصمعى : لايصير الشاعر فى قريض الشعر فحلا حتى يروى أشعار العرب ويسمع الأخبار ويعرف المعانى وتدور فى مسامعه الألفاظ .

وأول ذلك أن يعرف العروض ليكون ميزانا له على قوله ، والنحْوَ ليصلح به لسانه وليقيم به إعرابه والنسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم "(٣).

" وقال الجمحى : وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم "(٤).

وفى اللسان لابن منظور (والشعر منظوم القول : غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية وإن كان كل علم شعرا، من حيث غلب الفقه على علم الشرع ، والعُودُ على المَنْدل ، والنجْم على الثُّريا. ومثل ذلك كثير .

---

١) العمدة ١ : ١٣٤.

٢) العمدة ١ : ١١٩.

٣) العمدة ١ : ١٣٢.

٤) المرجع السابق :١١٨.

وربما سموا البيت الواحد شعرا ... وقال الأزهرى الشعر القريض المحدود بعلامات لايجاوزها . والجمع أشعار ، وقائله شاعر لأنه يشعر مالايشعر غيره ، أى يعلم ... وقيل : شَعَرَ : قال الشعر ، وشَعُر: أجاد الشعر .

ورجل شاعر والجمع شعراء .

قال سيبويه : شبهوا فاعلا بفعيل كما شبهوه بفعول كما قال : صَبُور وصُبُر ، واستغنوا بفاعل عن فعيل ، وهو فى أنفسهم وعلى بال من تصورهم لما كان واقعا موقعه وكسر تكسيره ليكون أمارة ودليلا على ارادته وأنه مغن عنه وبدل منه ... وقال الأخفش : الشاعر مثل لابن وتامر صاحب شعر ...) أ.هـ

وقد قال الحطيئة معبرا عن رأيه فى قرض الشعر :

الشعر صعب وطويل سُلَّمُهُ والشعر لايطيعه من يظلمه

إذا ارتقى فيه الذى لايعلمه زَلَّتْ به إلى الحضيض قدمه

يريد أن يعربه فيعجمه (١)

وقد جمع ابن رشيق عدة الشاعر فى العبارة الآتية ، ولكن الذى يهمنا من هذه العبارة شيئان هما الوزن والقافية ، وهذه عبارته : " الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء وهى اللفظ والوزن والمعنى والقافية فهذا هو حد الشعر لأن من الكلام موزونا مقفى وليس بشعر لعدم القصد والنية كأشياء اتزنت من القرآن ومن كلام النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر"(٢).

---

١) العمدة ١: ١١٦.   ٢) العمدة ١ : ١١٩.

والشعر سلاح ذو حدين ، منه مايهدى إلى البر ، ومنه مايقود إلى الشر، ومرد هذا إلى مايعالجه الشاعر فى شعره من أفكار ومايسبح فيه من بحور الخيال وقديما قالوا أعذب الشعر أكذبه ، وجاء فى القرآن الكريم " والشعراء يتبعهم الغاوون ألم ترَ أنهم فى كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون مالايفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى مُنْقَلَبٍ ينقلبون " ، فأتباع الشعراء من الغواة الضالين الذين يهيمون فى كل واد من القول بين المدح والهجاء والغزل والنسيب والتشبيب يبتغون عرض الحياة الدنيا فيزخرفون القول ، ويخوضون فى الأعراض ويتبادلون الشتائم والسباب ، ويقولون مالايفعلون . ولكن الله استثنى من هؤلاء الشعراء المؤمنين الذين وقفوا شعرهم على الدفاع عن الإسلام ، وردوا على الكفار من الشعراء بما رد كيدهم فى نحرهم وردهم على أعقابهم فانقلبوا خاسرين .

ومن أمثال أولئك المستثنين حسانُ بنُ ثابت وعبدُ الله بن رَوَاحة وكعب بن مالك وأمر كل منهم وأخباره وأشعاره تمثل أشرف الأغراض من بين أغراض الشعر العربى فهو الدفاع عن العقيدة كى تصبح كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

وقد وصل إلينا الشعر العربى بوسائل وطرق لايتطرق إليها أدنى شك ، وهذا الشعر الذى جاءنا مكتمل الصورة مشتمل على المقومات التى تجعل منه نموذجا جيدا ومثلا رائعا للعقل العربى فى حقب التاريخ ، ان أكثر ماوصل الينا من الشعر العربى بلغ درجة عالية

من النضج والكمال بكل المقاييس وأبعد تاريخ وصل إلينا الشعر العربى منه لايكاد يعدو مائتى عام قبل الاسلام .

ولايجروء باحث أن يقول : إن هذا الذى وصل إلينا بداية الشعر العربى ، لأنه قد بلغ درجة عالية من جودة الأداء ، وليس هناك من الأشياء مايبدأ ناضجا كاملا ، انما تبدأ الأشياء صغيرة ثم تنمو وتأخذ طريقها إلى النضج وإلى الكمال .

فالشعر كلام من كلام الناس ولكنه كلام له خصائص ومزايا وله أوزان ذات قواعد ، وقواف ذات أصول لايجوزُ التّجوّزُ فيها ولايسمح بتخطيها بل لابد من التزامها والسير على هديها دون مخالفة أو انحراف عن سواء السبيل الذى قصد اليه السابقون من أبناء العرب ولئن جدت أوزان وتصرف بعض الشعراء فى الأوزان الموروثة إن هذا لايعنى البعد عما يستسيغه الذوق العربى .

وللشعر ميزان يوزن به ، وتفعيلات يقاس عليها وقد عد العلماء من بين علوم العربية علم قرض الشعر فقالوا :

علم قرض الشعر : علم يعرف به كيفية إنشاء الموزون المقفى السالم من العيوب ، وقيل : ان علم قرض الشعر هو التكلم بالكلام الموزون بوزن عربى .

قال فى المختار : قرض الرجل الشعر قال، والشعر قريض وبابه ضرب . وفائدته الاعانة على سهولة حفظ الكلام وثباته فى الذهن بخلاف الكلام المنثور(١).

---

١) حاشية الدمنهورى : ١٢.

وكذلك عدوا من بينها علم العروض

والعروض : علم بأصول يعرف بها صحيح أوزان الشعر أى النظم وفاسدها وما يعتريها من الزحاف والعلل وعرفه بعضهم ، بقوله : علم بأوزان العرب الشعرية ولواحقها الزحافية والعِلّية.

وموضوعه الشعر العربى من حيث هو موزون بأوزان مخصوصة.

ومن فوائده :

١- تمييز الشعر عن غيره ، فيعرف به أن القرآن الكريم والحديث الشريف ليسا من الشعر فى شىء.

فقبل تعلم العروض إدراك هذا تقليد فى العقيدة..ويؤخذ من هذا أن تعلم مايوصل منه الى معرفة ذلك فرض عين على كل مسلم ، بناء على منع التقليد فى العقائد.

وفى هذا ضرب من التشدّد ، لأن كل مسلم يعتقد أن القرآن كلامُ الله وأن الحديث الشريف كلامُ رسوله صلى الله عليه وسلم ،وكلاهما بعيد عن الشعر.

٢- أمن المولد من اختلاط بعض بحور الشعر ببعض.

٣- الحفاظ على الأوزان المأثورة والحرص على ضبطها والأمن على الشعر من الكسر.

٤- الحرص على الوقوف عندما أثر عن العرب من الزحاف والعلل والضرورات بحيث لايَجِدّ تغيير ممنوع كالقطع فى الأسباب.

٥- وضع حد فاصل بين الشعر ومايشبهه من السجع ، وتمييزه فى القراءة والكتابة ، وعدم الخلط بينه وبين غيره من فنون الكلام. وبالجملة فعلم العروض له فائدة عظيمة خلافا لمن اعتقد أنه لاجدوى له (١).

---

١) حاشية الدمنهورى : ١٣ بتصرف.

نشأة الشعر ومكانته

قال ابن رشيق فى كتابه العمدة : وكان الكلام منثورا فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعرافها وذكر أيامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الأنجاد وسمحائها الأجواد لتهز أنفسها الى الكرم وتدل أبناءها على حسن الشيم فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام فلما تم لهم وزنه سَمَّوْهُ شعرا لأنهم شعروا به أى فطنوا.(١)

وقال أحمد حسن الزيات فى كتابه تاريخ الأدب العربى : وليس مما يسوغ فى العقل أن الشعر(٢) بدأ ظهوره على هذه الصورة الناصعة الرائعة فى شعر المهلهل وامرىء القيس ، وانما اختلفت عليه العصر وتقلبت به الحوادث وعملت فيه الألسنة حتى تهذب أسلوبه وتشعبت مناحيه والمظنون أن العرب خطوا من المرسل الى السجع ومن السجع الى الرجز ثم تدرجوا من الرجز الى القصيد . فالسجع هو الطور الأول من أطوار الشعر توخاه الكهان مناجاة للآلهة وتقييدا للحكمة وتعمية للجواب وفتنة للسامع وكهان العرب ككهان الاغريق هم الشعراء الأولون ، زعموا أنهم مهبط الالهام وأنجياء الآلهة فكانوا يسترحمونها بالأناشيد ويستلهمونها بالأدعية ويخبرون الناس بأسرار الغيب فى جمل مقفاة موقعة أطلقوا عليها اسم السجع تشبيها لها بسجع الحمامة لما فيها من تلك النغمة الواحدة البسيطة ، فلما ارتقى فيهم ذوق الغناء وانتقل الشعر من المعابد إلى الصحراء ومن الدعاء الى الحداء اجتمع الوزن والقافية فكان الرجز ثم تعددت الأوزان بتعدد الألحان(٢).

---

١) جـ ١ ص ٢٠.   ٢) ص : ٢٦.

وقد اجتمع الناس على أن المنثور فى كلامهم أكثر، وأقل جيدا محفوظا ، وأن الشعر أقل ، وأكثر جيدا محفوظا ، لأن فى أدناه من زينة الوزن والقافية مايقارب به جيد المنثور .

وقيل : ماتكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره (١).

وصاحب الشعر الجيد بمنزلة صاحب الصوت المطرب يستميل أمة من الناس الى استماعه وان جهل الألحان وكسر الأوزان . وقائل الشعر الحوشى بمنزلة المغنى الحاذق بالنغم غير المطرب الصوت يعرض عنه إلا من عرف فضل صنعته . على أنه اذا عرف فضل صنعته لم يصلح لمجالس اللذات وانما يجعل مُعَلِّماً للمطربات من القينات يقومهن بحذقه ويستمتع بحلوقهن دون حلقه لِيَسْلَمْن من الخطأ فى صناعتهن ويطرب بحسن أصواتهن(٢).

وقد قيل : لايزال المرء مستورا وفى مندوحة مالم يصنع شعرا أويؤلف كتابا لأن شعره ترجمان علمه وتأليفه عنوان عقله ... وقال الجاحظ : من صنع شعرا أو وضع كتابا فقد استهدف فان أحسن فقد استعطف وان أساء فقد استقذف . قال حسان:

وان أشعر بيت أنت قائله ... بيت يقال إذا أنشدته صدقا
وانما الشعر لب المرء يعرضه ... على المجالس إن كيسا وإن حمقا

---

١) العمدة ١ : ٢٠.

٢) العمدة ١ : ٩٢.

... وقال شيطان الشعراء دعبل بن على :

سأقضى ببيت يحمد الناس أمره ويكثر من أهل الروايات حامله
بموت ردىء الشعر من قبل أهله وجيده يبقى وإن مات قائله

الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية ، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة ، الا أن تختلف القوافى فيكون ذلك عيبا فى التقفية لا فى الوزن ، وقد لايكون عيبا نحو المخمسات وماشاكلها (١).

وزعم صاحب الموسيقى أن ألذ الملاذ كلها اللحن ، ونحن نعلم أن الأوزان قواعد الألحان والأشعار معايير الأوتار لامحالة ، مع أن صنعة صاحب الألحان واضعة من قدره مستخدمة له نازلة به مسقطة لمروءته. ورتبة الشاعر لامهانة فيها عليه ، بل تكسبه مهابة العلم وتكسوه جلالة الحكمة (٢).

وسئل أحد المتقدمين عن الشعراء فقال : ماظنك بقوم الاقتصاد محمود إلا منهم، والكذب مذموم إلا فيهم (٣).

* * *

---

١) العمدة ١ : ١٣٤.
٢) العمدة ١ : ٢٦.
٣) العمدة ١ : ٢٥.

تقويم الشعر

حكى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال : لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد ونصبت لهم راية فَجَرَوْا معا علمنا : من السابق منهم ؟ واذا لم يكن فالذى لم يقل لرغبة ولا لرهبة ، فقيل : ومن هو ؟ فقال الكندى ، قيل : ولم ؟ قال : لأنى رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة (١).

وقال الجاحظ : طلبت علم الشعر عند الأصمعى فوجدته لايحسن الا غريبه ، فرجعت الى الأخفش فوجدته لايتقن إلا إعرابه ، فعطفت على أبى عبيدة فوجدته لاينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات (٢).

وقد قيل للخليل بن أحمد : مالك لاتقول الشعر ؟ فقال : الذى يجيئنى لا أرضاه والذى أرضاه لايجيئنى .

وقيل لابن المقفع : مالك لاتجوز البيت والبيتين والثلاثة ؟ قال: إن جزتها عرفوا صاحبها (٣).

وأجود ما أثر عن العرب أشعار القدامى من الجاهليين ، أما أشعار هؤلاء المحدثين مثل أبى نواس وغيره فكالريحان يشم يوما ويذوى فيرمى به ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا . وهذه الفكرة من كتاب (الموشح للمرزبانى : ٢٤٦) .

---

١) العمدة ١:٤١، ٤٢ .   ٢) العمدة ٢: ١٠٥
٣) الحيوان للجاحظ ٣:١٣٢.

" قد يميز الشعر من لايقوله ، كالبزاز يميز من الثياب مالم ينسجه والصيرفى يخبر من الدنانير مالم يسبكه ولاضربه حتى انه ليعرف مقدار مافيه من الغِشّ وغيره فينقص قيمته "(١).

وقد كان ابن خلدون ذا حس مرهف وذوق رفيع ، فكتب عن الشعر سبعة فصول فى آخر مقدمته ، كان الأول منها فى انقسام الكلام إلى فنى النظم والنثر، والثانى فى أنه لاتتفق الاجادة فى فنى المنظوم والمنثور معا إلا للأقل ، والثالث فى صناعة الشعر ووجه تعلمه ، والرابع فى أن صناعة النظم والنثر إنماهى فى الألفاظ لافى المعانى ، والخامس فى أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ ، وجودتها بجودة المحفوظ والسادس فى ترفع أهل المراتب عن انتحال الشعر ، والسابع أشعار العرب وأهل الأمصار ، وختم حديثه هذا بالكلام عما استحدث المتأخرون من أهل الأندلس من الموشحات والأزجال(٢).

وقبل هذه الفصول كان يتحدث عن الملكة اللسانية ووسائل تحصيلها فكان من ذلك حديثه الآتى :

وانظر ما اشتمل عليه كتاب الأغانى من نظمهم ونثرهم فان ذلك الكتاب هو كتاب العرب وديوانهم وفيه لغتهم وأخبارهم وأيامهم وملتهم العربية وسيرتهم وآثار خلفائهم وملوكهم وأشعارهم وغناؤهم وسائر مغانيهم فلا كتاب أوعب منه لأحوال العرب (٣).

---

١) العمدة ١ : ١١٧.
٢) مقدمة ابن خلدون : ٥٠٠ – ٥٣٧.
٣) مقدمة ابن خلدون : ٤٩٩.

٢٨ـ وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى موسى الأشعرى : مُرْ مَنْ قِبلك بتعلم الشعر فانه يدل على معالى الأخلاق وصواب الرأى ومعرفة الأنساب .

٣٠ـ وقال ابن سيرين : الشعر كلام عقد بالقوافى فما حسن فى الكلام حسن فى الشعر وكذلك ماقبح منه (١).

وسئل فى المسجد عن رواية الشعر فى شهر رمضان وقد قال قوم : إنها تنقض الوضوء فقال :

نُبِّئْتُ أن فتاةً كنت أخطبها ∴ عُرْقُوبها مثل شهر الصوم في الطول

ثم قام فأم الناس(٢).

وكان أبو عزة شاعرا من شعراء المشركين ، وقد أسر يوم بدر فشكا الفقر والعيّال فأطلقه الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم عاد إلى استنفار المشركين وتحريضهم على قتال النبى فأسر يوم أحد ، فخاطب النبى صلى الله عليه وسلم بمثل خطابه الأول ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : " لاتمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمدا مرتين " ثم قتله صبرا ، وقال : " لايلسع المؤمن من حجر مرتين "(٣).

وقد أنشد النابغة الجعدى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة ... (بلغنا السماء ...) وأنشده حسان بن ثابت حين جاوب عنه أبا سفيان بن الحارث بقوله :

هجوت محمدا فأجبت عنه ∴ وعند الله فى ذاك الجزاء

---

١) العمدة ١ : ٢٨. ٢) العمدة ١ : ٣٠.

٣) العمدة ١ : ٦١ باختصار.

فقال له : جزاوءك عند الله الجنة ياحسان ، فلما قال :

فإن أبى ووالده وعرضى ∴ لعِرْضِ محمدٍ منكم وقاء

قال له : وقاك الله حَرَّ النار، فقضى له بالجنة مرتين فى ساعةواحدة، وسبب ذلك شعره (١).

وهذا ابن فارس يعرف الشعر بأنه كلام موزون مقفى دال على معنى ويكون أكثر من بيت . ثم يقول:

وانما قلنا هذا لأن جائزا اتفاق سطر واحد بوزن يشبه وزن الشعر عن غير قصد فقد قيل : ان بعض الناس كتب فى عنوان كتاب " للأمير المسيب بن زهير - من عقال بن شبة بن عقال " فاستوى هذا فى الوزن الذى يسمى " الخفيف " ولعل الكاتب لم يقصد به شعرا.

وقد ذكر ناس فى هذا كلماتٍ من كتاب الله جل ثناوءه كرهنا ذكرها . وقد نزه الله جل ثناوءه كتابه عن شبه الشعر كما نزه نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلمعن قوله (٢).

ولكن الجاحظ يُدَوِّنُ هذه العبارة على أنها بيت من الشعر، اذيقول: وكتب عقال بن شبة بن عقال إلى زهير بن المسيب :

للأمير المسيب بن زهير ∴ من عقال بن شبة بن عقال (٣)

وقد التزم الجاحظ وضع هذا فى شطرين على نظام كتابة الشعر فالجاحظ يعد البيت الواحد شعرا وروى عنهم قولهم : هذا بيت وهذا مصراع، أما ابن فارس فيشترط أن يكون أكثر من بيت ، ويتبع هذه العبارة بقوله : ولعل الكاتب لم يقصد به شعرا.

---

١) العمدة ١ : ٥٣. ٢) الصاحبى : ٢٢٩ ، ٢٣٠.
٣) البيان والتبيين ٢ : ١١٢.

حكمة التنزيه

ثم بين ابن فارس الحكمة فى تنزيه الله جل ثناؤه كتابه عن شبه الشعر وتنزيه نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن قوله ، وبسط القول فى ذلك ولكنا نلخصه كى نتبصر هذه الحكمة ، وفيما يلى هذا التلخيص(١) :

١- حكم الله تعالى بأن (الشعراء يتبعهم الغاوون وأنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالايفعلون) .

٢- للشعر شرائط لايسمى الانسان شاعرا بغيرها ، والرسول منزه عنها ومن هذه الشرائط أن يحفظ الشعر ويرويه ويستفرغ طاقته فى الانشغال به ..

٣- الشاعر إن هزل أضحك ، وإنْ جَدّ كذب ، فهو بين كذب واضحاك ، والرسول منزه عن هاتين الخصلتين وعن كل أمر دنىّ .

٤- صاحب الشعر مادح أو هاج ، وهاتان لاتصحان لنبى .

٥- قال صلى الله عليه وسلم : " ما أنا من دَدٍ ولا دَدٌ منى " والدد اللهو واللعب .

٦- وأهل العروض يجمعون على أنه لافرق بين صناعة العروض وصناعة الايقاع إلا أن صناعة الايقاع تقسم الزمان بالنغم وصناعة العروض تقسم الزمان بالحروف المسموعة . فلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الايقاع والايقاع ضرب من الملاهى لم يصلح ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

١) الصاحبى : ٢٣٠ ...

القصيـــــدة :

أصل اشتقاق هذه الكلمة من القصد ، وهو استقامة الطريق ،وقوله تعالى : " وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر " : " أى على الله تبيين الطريق المستقيم بالحجج والبراهين الواضحة . والقصد فى كلام العرب الاعتزام والأمّ والتوجيه والقصيدة على وزن فعيلة وهى تستعمل بمعنى فاعل ومعنى مفعول ، فاذا كانت بمعنى مفعول كان ذلك لأن الشاعر يقصد الى تأليفها وجمعها وتهذيبها واذا كانت بمعنى فاعل كان ذلك لأنها تبين المراد.

وقد جعل بعضهم عدد أبيات القصيدة ثلاثة فما فوقها ولكن هذا غير مرضى، فقد نقل عن ابن جنى أن الثلاثة والعشرة الى خمسة عشر بيتا تسمى قطعة ، وما زاد على ذلك تسمية العرب قصيدة . ويطبق عليها القصيد والجمع قصائـــد .

والقصيدة عند العرضيين :

١- مجموعة أبيـــات .

٢- من بحر واحـــد.

٣- مستوية فى عدد الأجزاء .

٤- وفى جواز مايجوز فيها.

٥- ولزوم مايلـــزم .

٦- وامتناع مايمتنـــع .

فالبيت والبيتان وماقل عما حدده العلماء من عدد أبيات القصيدة لايسمى قصيدة والأبيات التى ليست من بحر واحد لاتسمى قصيدة وإن اتحدت فى الموضوع وترابطت فى المعانى .

ومجموع الأبيات التى من بحر واحد ، لكن لم تستو الأبيات فى عدد الأجزاء لاتسمى قصيدة ، وذلك كأبيات من بحر البسيط بعضها من التام وبعضها من المجزوء أو المخلع ، وكأبيات من بحر الرجز بعضها تام وبعضها مجزوء وبعضها مشطور وبعضها منهوك .

والأبيات التى تجىء من بحر واحد مع الاستواء فى عدد الأجزاء لكن مع اختلاف فى الأحكام لاتسمى قصيدة .

فالعروض والضرب فى بيت الشعر هما محل الحكم اللازم ، فاذا لزم العروض والضرب حكم " وجب أن يتساوى فيه جميع الأبيات ، كالقبض فى ضرب الطويل فانه جائز للشاعر قبل أن يشرع فى عمله الشعرى ،لأن للطويل ثلاثة أضرب (مقبوض ومحذوف ، وتام أوصحيح) فإذا بدأ الشاعر عمله بضرب من هذه الأمثلة الثلاثة لزمه فى كل الأبيات ، لكن اذا نظم أبياتا من هذا البحر وجعل الضرب فى بعضهما مقبوضا ، وفى بعضهما محذوفا أو صحيحا لاتسمى تلك الأبيات قصيدة لعدم الاستواء فى اللزوم . وكحذف " ياء مفاعلين" فى الضرب الصحيح من بحر الطويل ، لو فعله الشاعر فى بعض الأبيات دون البعض الآخر ، لايسمى ذلك قصيدة .

فخيار الشاعر قبل أن يبدأ قصيدته فإذا بدأها لزمته الأحكام المقررة .

هل تنتفى صفة الشعر عما تأتى به بعض المخالفات لانتفاء صفة القصيدة عنه ؟

أجمع العلماء على أن كل قصيدة تسمى شعرا ، وليس كل شعر يسمى قصيدة فكل ماوقعت فيه هذه المخالفات السابقة شعر . وقد جرى العرف

على أن الشاعر اذا كان مع صحبة له فى مجلس سمر ، أو كان يتحدث مع بعض مريديه وجرى على لسانه شطر بيت من الشعر جرى العرف على أنه يقال له : أكمل ، وهذا يعنى أن صفة الشعر قد تطلق على شطر البيت منه .

وفى مقدمة ابن خلدون فى حديثه عن صناعة الشعر ووجه تعلمه :

ويراعى فيه اتفاق القصيدة كلها فى الوزن الواحد ، حذرا من أن يتساهل الطبع فى الخروج من وزن إلى وزن يقاربه ، فقد يخفى ذلك من أجل المقاربة على كثير من الناس ، ولهذه الموازين شروط وأحكام تضمنها علم العروض .

وليس كل وزن يتفق فى الطبع استعملته العرب فى هذا الفن وانما هى أوزان مخصوصة يسميها أهل تلك الصناعة البحور وقد حصروها فى خمسة عشر بحرا بمعنى أنهم لم يجدوا للعرب فى غيرها من الموازين الطبيعية نظما .

التقفية والتصريع :

التقفية : أن يتساوى العروض والضرب من غير نقص ولا زيادة ، فلا تتبع العروض الضرب إلا فى حرف الروى خاصة ومثالها مطلع معلقة امرىء القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ∴ بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فالعروض والضرب كلاهما على وزن " مفاعلن " واللام المكسورة فى آخر كل منهما .

وكل مالم يختلف عروض بيته الأول مع سائر عروض أبيات القصيدة

الا فى حرف الروى فقط فهو مقفى .

والتصريع موافقة العروض للضرب تزيد بزيادته وتنقص بنقصه فى مطلع القصيدة ، فمثال الزيادة قول امرىء القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان وربع خلت آياته منذ أزمان

والعروض فى هذا البيت على وزن (مفاعيلن) من أجل التصريع ، ثم تأتى فى سائر القصيدة على وزن (مفاعلن) لأن عروض بحر الطويل مقبوضة أبدا ، إلا فى التصريع .

ومثال التصريع بالنقصان قوله :

لمن طَلَلٌ أبصرته فشجانى كخطِّ زَبُورٍ فى عَسِيبِ يمانى

فالضرب على وزن (مفاعى) والعروض مثله لأجل التصريع ، ثم تأتى العروض بعد البيت الأول على وزن (مفاعلن).

وكل ماكان مشابها لما تقدم فى سائر البحور فهو مقفى أو مصرع .

ويشترك التصريع والتقفية فى الأمور الآتية :

١- كل منهما يجىء فى ابتداء القصيدة ، ويصح أن يجىء عند الانتقال من غرض إلى غرض .

٢- كل منهما تنبيه للمستمع إلى أنه بدأ فى كلام موزون غير منثور.

٣- كذلك فيهما إعلام السامع بحرف الروى الذى ختم به الشطر الأول فى قصيدته ليكون خاتمة الأبيات فى القصيدة كلها.

٤- فى التصريع والتقفية دليل على قوة طبع الشاعر وكثرة المادة اللغوية عنده لكن إذا كثر أحدهما فى القصيدة دل على التكلف .

والفرق بين التصريع والتقفية أن العروض فى التصريع تزيد

وقال الممزق العبدى (قصيدة ٥٨ مفضليات ط ٣) :

أرقت فلم تخدع بعينىّ وَسْنَة ... ومن يلق مالاقيت لابد يأرق

فان كنت مأكولا فكن خير آكل ... والا فأدركنى ولما أمزق

وقال ضابئُ بن الحارث البُرْجمى (قصيدة ٦٤ مفضليات ط ٣) :

من يك أمسى بالمدينة رحله ... فإنى وقَيَّار بها لغريب

(اسم فرسه أو جمله) .

وقال المفضل النكرى (قصيدة ٦٩ مفضليات ط ٣) :

ألم تر أن جيرتنا استقلوا ... فنِيَّتُنا ونِيَّتُهُم فريق

وقال المتلمس يعاتب خاله (قصيدة ٩٢ مفضليات ط ٣) :

تعيرنى أمِّى رجال . ولن ترى ... أخا كرمٍ الا بأن يتكرما

وكنا اذا الجبار صعر خده ... أقمنا له من ميله فتقوما

فلوغير أخوالى أرادوانقيصتى ... جعلت لهم فوق العرانين ميسما

وماكنت الا مثل قاطع كفه ... بكف له أخرى فأصبح أجذما

فلما استقاد الكف بالكف لم يجد ... له دَرَكًا فى أن تَبِينَا فأحجما

فأطرق إطراق الشجاع ولويرى ... مساغا لنابيه الشجاع لصمما

* * *

تعريف القافيـــة

أطلق الخليل هذا الاسم على ماسيأتى ، فصار علما منقولا ، وهو فى الأصل صفة ، وأل فيها للمح الأصل .

وهى لغة : فاعلة من قفا يقفو إذا تبع ، فهى تابعة ، ويكون اسم الفاعل على أصله ، ومتبوعة ويكون اسم الفاعل بمعنى مفعول أى (مقفوة) وقد جاء فى المصباح المنير . قفوت أثره من باب قال : تبعته . وقَفَّيت على أثره بفلان : أتبعته اياه ، والقفا مقصور : مؤخر العنق ، وفى الحديث : " يعقد الشيطان على قافية أحدكم .." اى على قفاه ... وفى مختار الصحاح : قفا أثره : تبعه ، وبابه عدا وسما ، وقفى من أثره بفلان أى أتبعه اياه ، ومنه قوله تعالى : " ثم قفينا على آثارهم برسلنا " ومنه أيضا : الكلام المقفى . ومنه قوافى الشعر ، لأن بعضها يتبع أثر بعض ...

ومن هذا قول عويف القوافى الشاعر :

سأكذب من قد كان يزعم أننى ... اذا قلت قولا لا أجيد القوافيا

وفى الاصطلاح يراد بالقافية هذه الأصوات التى تتكرر فى آخر كل بيت ، أو كل مجموعة من أبيات القصيدة ، وتكرير هذه الأصوات ركن أساس فى الموسيقى الظاهرة بالنسبة للشعر .

ومعرفة القافية وبحثها لايقل فى أهميته عن معرفة أجزاء البيت من الشعر ووزنه ، وماقد يحدث فى أجزائه من تغيير ، لأن من جهل أصول القافية تعرض لمخالفة النسق الذى رسم للشعر العربى عند ذوى الذوق السليم .

بزيادة الضرب ، وتنقص بنقصه ، أما فى التقفية فلازيادة ولانقصان .

وقد اعتاد كثير من الشعراء على التصريع أو التقفية فى مطلع القصائد لأن المطلع محل التأنق وإظهار جودة الذهن ، وشدة الفصاحة ولأن فى ذلك إمتاعا للسامع واعلانا عن موسيقى القافية التى ستبنى عليها القصيدة كلها . وليس هذا أمرا واجبا ، فهناك من عيون القصائد مالم يصرع أو يقفّ .

(ومن الناس من لم يصرع أول شعره قلة اكتراث بالشعر ثم يصرع بعد ذلك كما صنع الأخطل إذ يقول أول قصيدة :

حلّت صُبَيْرَةُ أمواه العداد وقد ... كانت تحل وأدنى دارها نكد

وأقفر اليوم ممن حلّه الثمد ... فالشعبتان فذاك الأبلق الفرد

فصرع الثانى دون الأول .

وقال ذو الرمة فى أول قصيدة :

أدارًا بحُزْوَى هجت للعين عبرة ... فماء الهوى يرفض أو يترقرق

ثم قال بعد عدة أبيات :

أمن مية اعتاد الخيال المؤرق ... نعم إنها مما على النأى تطرق

وكان الفرزدق قليلا مايصرع أو يلقى بالا بالشعر كقوله :

ألم تر أنى يوم جو سويقة ... بكيت فنادتنى هنيدةُ ماليا

فجاء بمثل هذه القصيدة الجليلة غير مصرعة .. وكذلك قوله يرد على جرير :

تكاثر يربوعٌ عليك ومالك ... على آل يربوع فما لك مسرح

وأكثر شعر ذى الرمة غير مصرع الأوائل ، وهو مذهب كثير من الفحول

وان لم يعد فيهم لقلة تصرفه ، الا أنهم جعلوا التصريع فى مهمات القصائد فيما يتأهبون له من الشعر فدل ذلك على فضل التصريع .. وقد قال أبو تمام وهو قدوة :

وتقفو إلى الجَدْوى بجدوى وانما   يروقك بيت الشعر حين يُصَرَّعُ

فضرب به المثل كما ترى) ابن رشيق .

ومن أمثلة القصائد التى خلت مطالعها من التصريع والتقفية جملة فى المفضليات منها للمرقش الأكبر وحده :

القصيدة رقم (٤٦) ومطلعها :

سرى ليلاً خيال من سليمى   فَأَرَّقنى وأصحابى هجود

فبت أدير أمرى كل حال   وأرقب أهلها وهم بعيد

والقصيدة رقم (٤٩) ومطلعها :

هل تعرف الدار عفا رسمها   الا الأثافىّ ومبنى الخيم

(القصيدة رقم ٥٢ - المفضليات ط ٣) :

أتتنى لسانُ بنى عامر   فَجَلَّتْ أحاديثها عن بصر

وقال أيضا (قصيدة رقم ٥٣ - المفضليات ط ٣) :

هل يرجعن لى لمتى اَنْ خضبتها ∴ إلى عهدها قبل المشيب خضابها

وقال عميرة بن جعل (قصيدة رقم ٦٣ من المفضليات ط ٣) :

كسا الله حَيَّىْ تغلبَ ٰبْنَةِ وائل ∴ من اللوءم أظفارا بطيئا نصولها

تغلب هو ابن وائل بن قاسط .. وفى اللسان : وقولهم تغلب بنت وائل انما يذهبون بالتأنيث إلى القبيلة . قالوا : تميم " بنت مر".

وقال متمم بن نويرة (قصيدة رقم ٦٧ ..)

لعمرى ومادهرى بتأبين هالك ∴ ولاجزع مما أصاب فأوجعا

والبيت الأول من القصيدة يعين لنا الوزن العروضى الذى بنيت عليه، كما يعين القافية التى اختارها الشاعر لقصيدته كلها، أو لمجموعة الأبيات الأولى منها، وفى الكثير الغالب فإن نهاية الشطر الأول من البيت الأول تعين لنا القافية. وذلك إذا جاء مطلع القصيدة مصرعا أو مقفى - كما سبق.

فالقافية هى العلم الثانى الذى يضبط الموسيقى الظاهرة فى الشعر. وقد أطلق الخليل بن أحمد هذا اللفظ على هذا العلم نقلا من أصله اللغوى، فاللفظ علم من الأعلام المنقولة، (وسميت القافية قافية لأنها تقفو اثر كل بيت، وقال قوم لأنها تقفو أخواتها. والأول عندى هو الوجه. لأنه لو صح معنى القول الأخير لم يجز أن يسمى آخر البيت الأول قافية لأنه لم يقفُ شيئا، وعلى أنه يقفو اثر البيت يصح جدا، وقال أبو موسى الحامض: هى قافية بمعنى مقفوة مثل "ماء دافق" بمعنى مدفوق. و" عيشة راضية" بمعنى مرضية فكأن الشاعر يقفوها أى يتبعها وهذا قول سائغ متجه)(١).

والعبرة فى القافية بأقل عدد من الأصوات يمكن أن تتكون منه. ومثال ذلك قول شوقى من قصيدة له فى انتحار الطلبة:

نَشْأَ الخير رويدا قتلكم	فى الصبا النفس ضلال وخسرْ
ليس يدرى أحد منكم بما	كان يُعْطَى لو تأنَّى وانتظَرْ
رُبَّ طفل برح البوءس به	مُطر الخير فتيا ومَطَرْ
وصبيٍّ أزرت الدنيا به	شب بين العز فيها والخَطَرْ

---

١) العمدة ١ : ١٠١.

ورفيعٍ لم يُسَوِّدْه أَبٌ ... مَنْ أَبُو الشمس ومَنْ أُمُّ القمر

فنراه قد التزم الراء الساكنة وحدها فى آخر كل بيت من أبياته بدليل أنه لم يلتزم حركة ماقبلها فى البيت الأول ، كما لم يلتزمها فى قوله من نفس القصيدة :

هارباً من ساحة العيش وما ... شارف الغمرة منها والغُدُرْ

ولكن الشاعر قد يلزم نفسه بأن يكثر من عدد الأصوات المكررة فى آخر كل بيت ، كى يزيد بها الموسيقى ، ويظهر براعته فى القول ، كما فعل أبو العلاء المعرى فى اللزوميات ،ومنها :

وأصفح عن ذنب الصديق وغيره ... لسكناى بيت الحق بين الصفائح

وأزهدُ فى مَدْح الفتى عندصدقه ... فكيف قَبُولى كاذباتِ المدائح

ومازالت النفسُ اللَّجوج مطيةً ... إلى أن غَدَتْ إحدى الرذايا(١) الطلائح

ومايَنفعُ الانسانَ أن غمائماً ... تسحّ عليه تحت إحدى الضرائح

ولو كان فى قربٍ من الماء رغبةٌ ... لنافس ناسٌ فى قبور البطائح

فقد التزم الشاعر مابين ألف التأسيس والروى من حرف الدخيل ، فجعله همزة فى أبيات القصيدة كلها ، وهذا من لزوم مالايلزم ، لأن حرف الدخيل لايجب التزامه بعينه إنما يجب التزامه بنظيره كماسيأتى.

وقد جاء فى لسان العرب لابن منظور : والقافية من الشعر الذى يقفو البيت ، وسميت قافية لأنها تقفو البيت وفى الصحاح : لأن بعضها يتبع أثر بعض .

---

١) الرذايا : جمع رذية وهى الضعيفة الهزيلة من الحيوان ، ومثلها الطلائح .

قال الأخفش : القافية آخر كلمة فى البيت وانما قيل لها قافية لأنها تقفو الكلام . قال : وفى قولهم قافية دليل على أنها ليست بحرف لأن القافية موءنث والحرف مذكر ...

قال ابن سيده : أخبرنى من أثق به أنهم قالوا لعربى فصيح : أنشدنا قصيدة على الدال فقال : وما الدال ؟ وسئل بعض العرب عن الدال وغيرها من الحروف فإذا هم لايعرفون الحروف ... وقالوا لأبى حية : أنشدنا قصيدة على القاف فقال :

كفى بالنأى من أسماء كاف .:.

قال الخليل : القافية من آخر حرف فى البيت الى أول ساكن يليه مع الحركة التى قبل الساكن ، ويقال : مع المتحرك الذى قبل الساكن كأن القافية على قوله من قول لبيد : عفت الديار محلها فمقامها من فتحة القاف الى آخر البيت . وعلى الحكاية الثانية من القاف نفسها إلى آخر البيت .

وقال قطرب : القافية الحرف الذى تبنى القصيدة عليه وهو المسمى رويا .

وقال ابن كيسان : القافية كل شىء لزمت إعادته فى آخر البيت وقد لاذ هذا بقول الخليل لولا خلل فيه .

قال ابن جنى : والذى يثبت عندى صحته من هذه الأقوال هو قول الخليل .

قال ابن سيدة : وهذه الأقوال انما يخص بتحقيقها صناعة القافية وأما نحن فليس من غرضنا هنا الا أن نعرف : ما القافية على مذهب هوءلاء من غير إسهاب ولا إطناب ، وأما ماحكاه الأخفش من أنه سأل من

أنشد :

لايشتكين عملا ما أنقين

فلادلالة فيه على أن القافية عندهم الكلمة ، وذلك أنه نحا نحو مايريده الخليل فلطف عليه أن يقول : هى من فتحة القاف الى آخر البيت ، فجاء بما هو عليه أسهل ، وبه آنس وعليه أقدر فذكر الكلمة المنطوية على القافية فى الحقيقة مجازا ، وإذا جاز لهم أن يُسَمّوا البيت كله قافية ، لأن فى آخره قافية - فتسميتهم الكلمة التى فيها القافية نفسها قافية أجدر بالجواز ، وذلك قول حسان :

فنحكم بالقوافى من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء

وذهب الأخفش الى أنه أراد هنا بالقوافى الأبيات .

قال ابن جنى : لايمتنع عندى أن يقال فى هذا : انه أراد القصائد كقول الخنساء :

وقافيةٍ مثل حَدِّ السنـا نِ تَبْقَى ويَهْلِكُ مَنْ قالها

تعنى قصيدة ، والقافية القصيدة ، وقال :

نُبِّئْتُ قافيةً قيلت تناشدها قومٌ سأترك فى أعراضهم نَدَبا

وإذا جاز أن تسمى القصيدة كلها قافية كانت تسمية الكلمة التى فيها القافية قافية أجدر . قال : وعندى أن تسمية الكلمة قافية والبيت والقصيدة قافية إنما هى على إرادة " ذو القافية وبذلك ختم ابن جنى رأيه فى تسميتهم الكلمة أو البيت أو القصيدة قافية .

قال الأزهرى : العرب تسمى البيت من الشعر قافية وربما سموا القصيدة قافية ، ويقولون : رويت لفلان كذا وكذا قافية .

وقفيت الشعر تقفية أى جعلت له قافية .

هذا النص الذى تقدم منقول من لسان العرب لابن منظور. وقد بين فيه آراء العلماء فى تعريف القافية .

ومما يكمل هذا نصُّ كلام أبى الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش فى كتابه القوافى ، قال فى أول كتابه : اعلم أن القافية آخر كلمة فى البيت ، وانما قيل لها قافية لأنها تقفو الكلام. وفى قولهم قافية دليل على أنها ليست بحرف لأن القافية موءنثة ، والحرف مذكر وإن كانوا قد يوءنثون المذكر ولكن هذا قد سمع من العرب وليست توءخذ الأسماء بالقياس ألا ترى أن رجلا وحائطا وأشباه ذلك لاتوءخذ بالقياس ، وإنما ننظر ماسمته العرب فنتبعه .

والعرب لاتعرف الحروف أخبرنى من أثق به أنهم قالوا لعربى فصيح . أنشدنا قصيدة على الدال ، فقال : وما الدال ، يا بأبى ؟ وسألت العرب وغيرها عن الدال وغيرها من الحروف فإذا هم لايعرفون الحروف . وأنشد أحدهم :

لايشتكين ألما ما أنقين ... مادام مُخٌّ فى سُلَامَى أو عين

فقلت : أين القافية ؟ فقال : أنقين . وقالوا لأبى حية : ابن لنا قصيدة على القاف فقال :

كفى بالنَّأى مِنْ أَسْمَاءَ كاف ... وليس لحبها إذْ طال شاف

ولم يعرف القاف . وقد يجعل بعضهم القافية كلمتين ، سألت أعرابيا ، وأنشد :

بنات وَطّاءٍ على خَدِّ الليل ... لأم من لم يتخذهن الويل

صفة خيل أو ابل - يذللن الليل ويملكنه ويتحكمن عليه كأنهن

يصرعنه فيذللن خده ...

فقلت : أين القافية ؟ فقال : خدُّ الليل ، لأنه انما يريد الكلام الذى هو آخر البيت لايبالى : قَلَّ أو كَثُرَ بعد أن يكون آخر الكلام .

وقد جعل بعض العرب البيت قافية قال حسان :

فَنُحْكِمُ بالقوافى مَنْ هجانا ونضرب حين تختلط الدماء

وبعض العرب يجعل القوافى القصائد ، وسمعت عربيا يقول : عنده قواف كثيرة . فقلت : وما القوافى ؟ فقال : القصائد . وسألت آخر فصيحا فقال : القافية القصيدة ، ثم أنشد :

وقافية مثل حد السنان تبقى ويهلك من قالها

يعنى القصيدة . وأخبرنى من أثق به أنه سمع هذا البيت :

نبئت قافية قيلت تناشدها قوم سأترك فى أعراضهم نَدَبا

ومن زعم أن حرف الرَّوِىّ هو القافية لأنه لازم له ــ قلت له : إن الأسماء لاتوءخذ بالقياس انما ننظر ماتسمى العرب فنسمى به ، ونقول له : صحة البيت لازمة فهلا تجعلها قافية ، وتأليفه لازم له وبناوءه ، فهلا تجعل كل واحد من ذا قافية ؟

ومن زعم أن النصف الآخر كله قافية ــ قلت له فما باله إذا بنى البيت كله إلا الكلمة التى هى آخره قِيلَ : بَقِيَتِ القافية . ولو قال لك شاعر : اجمع لى قوافى . لم تجمع له أنصافا وانما تجمع له كلمات نحو : غلام وسلام .

ولو كانت القوافى هى الحروف كان قول الشاعر :

يادار سلمى ، يا اسلمى ثم اسلمى .

مع قوله :

فخندف هامة هذا العالم غير معيب ، لأن القافيتين متفقتان اذ كانتا ميمين ، ولجاز : قال مع قيل ، لأنك تقول : إذا اتفقت القوافي صح البناء واذا لم تتفق فسد . فان كانت الحروف هي القوافي فقد اتفقت في : قالٍ وقيلٍ لأنهما لامان ، واذا سمعت العربُ مثل هذا قالوا : اختلفت القوافي.فقولهم : "اختلفت القوافي" يدل على أنهم لايعنون الحروف . وجميع من ينظر في الشعر إذا سمع مثل هذا قال : "اختلفت القوافي" . فقولهم : "اختلفت القوافي" يدل على أنهم لايعنون الحروف .

والقوافي عند الخليل مابين آخر حرف من البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن . وقد جاء بيت من قول العرب :

وقافيةٍ بين الثنية والضرس

زعموا أنه يعني به الضاد، ولا أراه عناها ، ولكنه أراد شدة البيت. وقال بعضهم : أراد السين ، وأكثر الحروف تكون بين الثنية والضرس وانما يجاوز الثنية من الحروف أَقَلُّها . وقد يجوز أن تجعل السين هي القافية في مجاز الكلام لأنه آخر الحروف . ويجوز في هذا القياس أن تكون الياءُ التي للوصل وجميعُ حروف الوصل ـ إذا لم يكن بعدهن شيءٌ قافيةً . وجميع حروف الخروج كل واحد منها قافية على المجاز، لأنه آخر الحروف .

إلى ذا رأيت العرب يقصدون . وعلى ذا فسر الخليل من غير أن يكون سمى . ولكن ذكر اختلاف القوافي فقال : يكون في القوافي التأسيس والردف وأشباه ذلك ، فلوكانت عنده الحروف لم يكن يقول هذا لأن الحرف الواحد لايكون فيه أشياء من نحو التأسيس والردف .

وقدوضع الخليل أسماء عن الأفعال للقوافى منها : فيعل وفاعل وفال وقيل فحعل كل واحد منها من ذا قافية .

هذا كلام الأخفش فى كتاب القوافى فى أوله .

ومما يبطله اتفاقهم على أن فى القوافى نوعا يسمى المتكاوس وهو مابين ساكنيه أربع متحركات (قد جبر الدين الاله فجبر)

وبمراجعة ماتقدم يتبين لنا أن كلمة القافية والقوافى قد استعملت فى شعر حسان وفى شعر الخنساء فى صدر الاسلام قبل الخليل وقبل الأخفش .

وعلم القافية مثل علم العروض مستحدث بعد ذلك ، وبحثها لايقل أهمية عنه ، والبيت الأول من القصيدة يعين الوزن العروضى الذى بنيت عليه كما يعين القافية التى اختارها الشاعر ليختم بها أبيات قصيدته . وكثيرا مايعين الشطر الأول قافية البيت إذا التزم الشاعر التصريع أو التقفية ، كما مر.

والعبرة فى القافية بأقل عدد من الأصوات تأتى عليه .

وبعد أن يعرف الأخفش القوافى عند الخليل يستكمل الحديث عن المجاز فى استخدام كلمة القافية فيقول : ويجوز فى هذا القياس أن تكون الياء التى للوصل وجميع حروف الوصل إذا لم يكن بعدهن شىء قافية ، وجميع حروف الخروج كل واحد منها قافية على المجاز لأنه آخر الحروف .

وهو بهذا يضيف إلى المعنى اللغوى المتقدم معنى آخر مجازيا . والأخفش على حق حين قال: الى ذا رأيت العرب يقصدون . لأنه يشير إلى الاستعمالات المختلفة لكلمة القافية عندما تختص بالشعر، والإشارة هنا

الى جعل الكلمة الأخيرة قافية أو جعل النصف الأخير من البيت قافية أو جعل البيت كله ... ولكن قوله : (وعلى ذا فسر الخليل من غير أن يكون سمى ولكن ذكراختلاف القوافى فقال يكون فى القوافى التأسيس والردف وأشباه ذلك . فلو كانت عنده الحروف لم يكن يقول هذا لأن الحرف الواحد لايكون فيه أشياء من نحو التأسيس والردف) ، هذا القول محتاج إلى إعادة النظر فيه فقد حدد الخليل حروف القافية ولم يقل إنها حرف واحد ، حتى نسلم بكلام الأخفش من أن الحرف الواحد لايكون فيه أشياء من نحو التأسيس والردف .

ومن الملاحظ فى أدلة الأخفش أنه خلط بين الحقيقة والمجاز وبين السماع والاصطلاح .

وتعريف الخليل للقافية لم يختلف فيه أهل هذا العلم ففى قول الخليل[1] : القافية من آخر حرف فى البيت الى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذى قبل الساكن .

والقافية على هذا المذهب وهو الصحيح تكون مرة بعض كلمة ومرة كلمة ومرة كلمتين فمثال ماجاءت القافية فيه كلمتين :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبلٍ مُدبِرٍ مَعــًا كجلمود صخرٍ حطه السيل من عل

القافية من الياء التى بعد حرف الروى فى اللفظ الى نون (مِنْ) مع حركة الميم وهاتان كلمتان " وكذلك قوله :

جحدتها وكتمت السهم فى كبدى جرح الأحبة عندى غير ذى ألم

القافية من الياء التى بعد حرف الروى فى اللفظ إلى ياء (ذى) مع حركة الذال وهاتان كلمتان.

---

١) العمدة ١ : ٩٩.

أما مجيئها كلمة فمثاله : (حومل) فى البيت الأول من معلقة امرئ القيس و(هيكل) فى قوله :

وقد أغتدى الطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

وأما مجيئها جزء كلمة ففى قوله :

.... ترائبها مصقولة كالسجنجل

القافية (جنجل) من الياء التى بعد حرف الروى فى اللفظ الى النون الساكنة مع حركة الجيم التى قبل النون . ويمكنك التعرف على حروف القافية فيما بين يديك من المعلقات السبع .

(١) فقد انتهت بعض أبيات معلقة امرئ القيس بما يأتى (حومل - شمأل - فلفل - حنظل - تجمل - معول - مأسل - القرنفل - محملى - جلجل - المتحمل - المفتل - مرجلى - فانزل - المعلل - محول - يحول ..)

(٢) وانتهت أبيات معلقة طرفة بن العبد بكلمات منها (ظاهر اليد - تجلد - من دَدِ - يهتدى.باليد - زبرجد - ترتدى - لهندى - اثمد - لم يتخدد - تغتدى ..)

(٣) وفى آخر أبيات معلقة لبيد كلمات منها (رجامها - سلامها - حرامها - رهامها - ارزامها - نعامها - بهائها - وشامها - كلامها -)

(٤) وفى آخر أبيات معلقة عنترة كلمات منها (واسلمى - المتلوم - المتثلم - الهيثم - مخرم - مزعم -).

(٥) وفى آخر أبيات معلقة عمرو بن كلثوم (الأندرينا - سخينا - يلينا - مهينا - اليمينا - تصبحينا - وجدتمونا - طحونا - تهونا - تمنعونا - قادرينا) .

(٦) وفى أبيات من معلقة الحارث بن حلزة (الثواء - الخلصاء - الوفاء - البكاء ...).

(٧) وفى أبيات من معلقة أعشى قيس (الرجل - الوحل - ولاعجل) .

معلقة لبيد بها ردف بالألف يجب التزامه ، وكذلك معلقة الحارث ابن حلزة ، أما معلقة عمرو بن كلثوم ففيها ردف بالياء أو بالواو .

رد ابن رشيق على الأخفش

ثم يرد ابن رشيق رأى الأخفش بقوله (العمدة ١ : ١٠٠)

ورأى الخليل عندى أصوب وميزانه أرجح لأن الأخفش ان كان انما فر من جعل القافية بعض الكلمة دون بعضها فقد نجد من القوافى مايكون فيها حرف الروى وحده القافية على رأيه ، فان وزن معه ماقبله فأقامها مقام كلمة من الكلمات التى عدها قوافى كان قد شَرَّك القافية بعضَ كلمة أخرى مما قبلها ، فاذا جاز أن يشترك فى القافية كلمتان لم يمتنع أن تكون القافية بعض كلمة مثال ذلك ماشاكل قولَ أبى الطيب :

طَوَى الجزيرة حتى جاءنى خبر فزعت فيه بآمالى الى الكذب
حتى اذا لم يدع لى صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاديشرق بى

فالقافية فى البيت الأول على قوله (الكذب) لولا أن الألف فيه ألف وصل نابت عنها لام (إلى) .

فان قال : القافية فى البيت الثانى (يشرق بى) رجع ضرورة الى مذهب الخليل وأصحابه ، لأن القافية عنده فى هذا البيت

من الياء التى للوصل وهى ههنا ضمير المتكلم الى شين (يشرق) مع حركة الياء التى قبلها فى أول الكلمة .

وان جعل القافية باء الخفض التى فى موضع الروى وياء الضمير التى قامت مقام الوصل رجع الى قول من جعل القافية حرف الروى - وهو خلاف مذهبه ، وليس بشئ لأنه لو كان صحيحا لجاز فى قصيدة واحدة : فجر وفجار وفاجر وفجور ومتفجر وانفجار ومفجر ومتفجر ومفجور وهذا لايكون أبدا .

أما استدلال ابن رشيق بالبيت الثانى على ابطال رأى الأخفش فهو أقوى حجة ، وأوضح بيانا فقد ألزمه البطلان ولم يعطه فرصة للدفاع وذلك للأسباب الآتية :

١- الكلمة الأخيرة فى البيت الثانى هى ياء المتكلم وياء المتكلم من الضمائر البارزة التى لها لفظ ينطق ورسم يكتب ، والكلمة عند الأخفش وغيره من النحويين اسم وفعل وحرف،وياء المتكلم اسم ، وعلى هذا فهى كلمة ، ولايَرِدُ على ذلك أنها ضمير متصل ، لأن الضمير المتصل كلمة لها دلالتها التى لاتفهم بدونه .

٢- الضمير المتصل مع مااتصل به فى هذه الحالة كلمتان ، وهذا خلاف رأى الأخفش .

٣- فاذا قال الأخفش : ان القافية هى (بى) لأن الجار والمجروركالشئ الواحد ، كان هذا رجوعا الى رأى غيره وهو الرأى القائل بأن القافية هى حرف الروى .

٤- فاذا قال الأخفش : انه يقصد الكلمة العرفية لا الكلمة النحوية والقافية هنا هى (يشرق بى) لأن الفعل ومايتعلق به كلمة فى العرف

اذا قال الأخفش بذلك فقد رجع الى قول الخليل ، لأن الخليل قد عرف القافية بأنها مجموع الساكنين اللذين فى آخر البيت ومابينهما من المتحركات مع المتحرك الذى قبل الساكن الأول ، أو مع حركة الحرف الذى قبل الساكن الأول.وعلى تعريف الخليل قد تكون القافية كلمة كاملة كقول طرفة :

وإن أُدْعَ للجلى أَكُنْ من حُمَاتِها   وإنْ يأتك الأعداءُ بالجهد أجهد

القافية فى هذا البيت كلمة (أجهد) وهى قافية مطلقة مجردة من التأسيس والردف .

وقد تكون القافية كلمتين كبيت امرىء القيس :

مكر مفر مقبل مدبر معـــا   كجلمود صخر خطه السيل من عل

القافية فى هذا البيت كلمتا (من عل).

وقد تكون جزء كلمة كقول عمرو بن كلثوم :

أبا هندٍ فلا تعجلْ علينـــا   وأمهلنا نُخَبِّرْكَ اليقينـــا

القافية فى هذا البيت تبدأ من حرف القاف الى الألف وهى (قينا).

وقد تكون كلمة وبعض كلمة أخرى كمطلع معلقة طرفة :

لخولة أطلال ببرقة ثهمـــد   تدوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

القافية فى هذا البيت تبدأ من الراء الى آخر البيت (رليدى) .

ألقاب القافية

١- اذا كان بين ساكنى القافية أربع حركات سميت : (المتكـــاوس) وشاهده قول العجاج من مشطور الرجز :

قد جَبَرَ الدينَ الإلهُ فَجَبَــرْ

وعور الرحمن عين ولى العـــور

فقوله (لاه فجبر) هو القافية وبين ساكنيها أربع متحركات (ه فـ ج ب)

٢- اذا كان بين ساكنى القافية ثلاث متحركات سميت (المتراكـب)

كقول الشاعر :

يا ليتنى فيها جـــذع أَخُبُّ فيها وأضـــع

فقوله (ها وأضع) هو القافية وبين ساكنيها ثلاث متحركات (وأض).

٣- اذا كان بين ساكنى القافية حرفان متحركان سميت (المتـدارك)

كقولـــه :

يدعون عنتر والرماح كأنّها أشطانُ بئرٍ فى لَبَان الأدهـــم

فقوله (أدهمى) هو القافية وبين ساكنيها حرفان متحركان (هم)

٤- اذا كان بينَ ساكنى القافية حركة واحدة سميت (المتواتر) نحـو

قولـــه :

وما استعصى على قومٍ منالُ إذا الأقدامُ كان لهم ركابــا

فقوله (كابا) هو القافية وبين ساكنيها حركة واحدة (ب).

٥- واذا اجتمع ساكنا القافية سميت (المترادف) وذلك نحو قوله :

هذه دارهم أقفـــرت أم زبور محتها الدهـــور

فالقافية هى قوله (هور) والساكنان هما الواو والراء .

ويظهر أن المتكاوس قليل الوقوع فى الشعر العربى لأن مثاله قد تناقله أصحاب العروض فى كتبهم . وقد يلحق به المترادف لأن تتابع الساكنين قليل حتى وإن كانا فى آخر البيت من الشعر، وإن كــان موضعا من مواضع الوقف .

أما الأنواع الثلاثة الأخرى فانها تشيع فى الشعر العربى لاطلاق القافية بحركة الحرف الأخير فيها ، كما سيأتى تفصيل ذلك .

تحديد حروف القافية

قال الشاعر :

ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد ، لقد زادنى مسراك وجداً على وجدى

القافية هنا هى كلمة (وجدي) والساكنان هما الجيم والياء الناشئة عن اشباع كسرة الدال .

وقال غيره :

أين مِنْ عينىَّ هاتيك المجالى ياعروسَ البحرِ ياحلمَ الخيال

القافية هنا جزء من كلمة الخيال هو (يالى) والساكنان هما الألف التى بعد الياء والياء الناشئة من إشباع كسرة اللام.

وقال الآخر:

إن أَمُتْ مِيتَةَ المحبين وَجْدًا وفؤادى من الهوى حرق

القافية هنا (واحرقو) فالساكن الأول ألف المد فى آخر الهوى ، والساكن الثانى الواو الناشئة من إشباع ضمة القاف .

وقال الشاعر :

جحدتها وكتمت السهمَ فى كبدى جرحُ الأحبة عندى غيرُ ذى ألم

القافية كلمتان هما (ذى ألم) والساكن الأول ياء (ذى)والثانى الياء الناشئة عن إشباع كسرة الميم .

حروف القافيـــة

يقصد بها الحروف التى يختم بها الشاعر الأبيات فى قصيدته ويجب عليه التزامها وهذه الحروف منها مايلزم بعينه ، ومنها مايلتـــزم بنظيره ، وهى ستة ، ولايمكن أن تجتمع هذه الستة فى آخر بيت واحـد ، ولكن القافية لاتخلو عن مجموع هذه الأحرف ، وفيما يلى أسماؤها.

١- الروى : هو الحرف الذى تبنى عليه القصيدة وتنسب اليـه ، فيقال : قصيدة رائية أو لامية أو نونية كما يقال : لامية العـرب أو سينية البحترى ، والروى هو الحرف الذى يجب أن يلتزم بعينه فـى كل أبيات القصيدة .

٢- الوصل : مايجئ بعد الروى من حرف مد ينشأ عن اشباع حركته وقد يكون الوصل بهاء بعد الروى ، ويلتزم فى كل أبيات القصيـدة أيضـا .

٣- الخروج : هو حرف المد الذى ينشأ من إشباع هاء الوصـل المتحركة بالفتح أو بالضم أو بالكسر ، ويلتزم فى كل أبيات القصيدة

٤- الردف : حرف مد يكون قبل الروى مباشرة ، فاذا كان الردف ألفا وجب التزامه بعينه فى كل أبيات القصيدة ، أما إذا كان واوا أو ياء فانه يجوز أن يتبادلا : فتأتى بعض الأبيات مردوفة بالـواو، وبعضها مردوفة بالياء .

٥- التأسيس : ألف المد التى يكون بينها وبين الروى حـرف متحرك ، وتلتزم بعينها فى سائر أبيات القصيدة .

٦- الدخيل : هو هذا الحرف المتحرك الذى يفصل بين التأسيـس والروى ، وهذا الحرف لايلتزم بعينه وإنما يلتزم بنظيره.

بيان حروف القافية فى كل بيت مما يأتى :

المثال	أسماء حروف القافية التى فيه
بأيه اقتدى عدى فى الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم	الميم الساكنة هى الروى ، وليس فيه ردف ولاتأسيس ولادخيل ولاوصل ولاخروج.
غير لاه عداك فاطرح اللهو ولا تغترر بعارض سلمِ	الميم المكسورة هى الروى ، واشباع الكسرة يولد ياء هى الوصل ، وليس فيه ردف ولاتأسيس ولادخيل ولاخروج .
ندم البغاة ولات ساعة مندم والبغى مرتع مبتغيه وخيمُ	الميم المضمومة هى الروى ، واشباع الضمة يولد واوا هى الوصل وياء المد قبل الميم ردف وليس فيه تأسيس ولاخروج .

المثـــــال	أسماء حروف القافية التى فيه
إذا قالت حذامِ فصدِّقوها فإنَّ القول ماقالت حـذامِ	الميم المكسورة هى الروى واشباع الكسرة يولد ياء هى الوصل ، وألف المد قبلها ردف ، وليس فيه تأسيس ولادخيل ولاخروج .
تزودت من ليلى بتكليم ساعة فما زاد إلا ضعف مابى كلامها	الميم المضمومة هى الروى ، والهاء هى الوصل وألف المد بعد الهاء خروج ، وألف المد قبل الميم ردف ، وليس فيه تأسيس ولادخيل .
ينام بإحدى مقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظان نائم	الميم المضمومة روى ، واشباع الضمة يولد واو هى الوصل وألف المد المفصولة من الروى بحرف هى التأسيس ، والهمزة التى تفصل بين ألف التأسيس والروى هى الدخيل ، وليس فيه ردف ولاخروج .

حركات القافية

يرتبط تقسيم القافية الى مقيدة ومطلقة بسكون الروى وحركته . فاذا كان الروى ساكنا كانت القافية مقيدة ، واذا كان الروى متحركا كانت القافية مطلقة .

الرس : حركة ماقبل ألف التأسيس والحرف الذى يحرك بها ليس من حروف القافية .

حركات القافية مرتبطة بالحروف التى سبق معرفتها وهى :

١- المجرى (بفتح الميم من جرى وبضمها من أجرى) وسميت بذلك لأنها منشأ جريان الصوت بالوصل . وهو حركة الروى المطلق ،والروى المطلق هو الحرف المتحرك الذى تبنى عليه القصيدة وتأتى بعده ألف ان كان متحركا بالفتحة كقول الشاعر من بحر الوافر :

إذا بلغ الرضيع لنا فطاما　　تَخِرُّ له الجبابرُ ساجدينا

وتأتى بعده ياء ان كان متحركا بالكسرة كقول الآخر من بحر الطويل :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى　　بصبح وما الإصباح منك بأمثل

وتأتى بعده واو ان كان متحركا بالضمة كقول الثالث من بحر البسيط :

قد يدرك المتأنى بعضَ حاجته　　وقد يكونُ مع المستعجل الزللُ

٢- النفاذ وهو حركة هاء الوصل ، وسميت بذلك لأنها منفذ إلى الخروج وأمثلتها : تكون فتحة كحركة الهاء فى قول الشاعر من بحر المنسرح :

يوشك مَنْ فَرّ مِنْ منيته　　فى بعض غِرَّاتِهِ يوافقها

وتكون كسرة كحركتها فى قول الآخر من بحر السريع :

يموت راعى الضأن فى حقلـه ميتة جالينوس فى طبـه

وتكون ضمة كحركتها فى قول الثالث :

مولاى وروحى فى يـده قد ضيعها سلمت يـده

٣- الحذو : وهو حركة الحرف الذى قبل الردف كحركة الدال من (ساجدينا) فى البيت السابق ، وحركة الخاء من (الخالى) فى قول الشاعر من بحر الطويل :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

وحركة الصاد من (يصونه) فى قول الآخر من مجزوء الكامل المرفل :

عُدْ منعما أولا تَعُـدْ أودعت سِرَّك مَنْ يَصُونـه

٤- الاشباع : وهو حركة الدخيل ومنها كسرة السين من (حاسد) فى قوله :

يعقد فى الجيد عليه الرُّقَى من خيفة الأنفس والحاسـد

ومنها فتحة الواو من (تطاولى) فى قول الراجز :

يانخلُ ذاتَ السدرِ والجداول تَطَاولى ماشئت أن تَطَاولى

ومنها ضمة الفاء فى (التدافع) من قول النابغة من بحر الطويل :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو امة وهو طائع

بمصطحبات من لصاف وثبـرة يزرن إلالاً سيرهن التدافـع (١)

٥- الرس : هو حركة ماقبل ألف التأسيس كفتحة الحاء من (حاسد فى البيت السابق) .

٦- التوجيه : وهو حركة ماقبل الروى المقيد كحركة القاف من(قط)فى قول الشاعر من بحر الرجز :

---

١) لصاف : جبل لتميم ، ثبرة : واد بديار بنى ضبة ، ويطلقان على ما ءين مكة . يريد : حلفت بنوق يمتطيها الحجاج من لصاف وثبرة إلى عرفة حيث تنتهى الى (الالال) وهو جبل عن يمين إمام الحج حيث يقف بعرفة .

حتى اذا جن الظلام واختلط   جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

سبب تسمية الحركات

١) وسميت بالمجرى لأنها مبتدأ جريان الصوت بالوصل ومنشوءه ولم يسموا الروى المقيد باسم خاص لأن الحركة قد تتغير بخلاف السكون.

٢) وسميت حركة هاء الوصل بالنفاذ لأن المتكلم نفذ بحركة هاء الوصل إلى الخروج وهو ألف مع الفتحة أو واو مع الضمة أو ياء مع الكسرة وقيل (النفاذ) بالمهملة ومعناه الانتفاء والتمام لأن هذه الحركة هى تمام الحركات فيها وَقَعَ نفاذُها .

٣) وسميت حركة ماقبل الردف بالحذو لأن الشاعر يحذوها أى يتبعها فى القوافى لتتفق الأرداف لزوما أو رجحانا ، وحكمها فى الاتفاق والاختلاف حكم الردف فإن كان ألفا لم تكن إلا فتحة .. وان كان واوا أو ياء فحيث جاز تعاقبهما جاز اختلاف الحذو .

٤) وسميت حركة الدخيل بالاشباع لاشباعها الدخيل وتقويته على أخويه: التأسيس والردف لسكونهما وتحركه فقد وقع قبل الروى واكتسب قوةً بالحركة لأن المتحرك أقوى من الساكن .

٥) وسميت حركةُ ماقبل التأسيس بالرَّس لأنها أول لوازم القافية ولأنها بعض حرف خفى وهو الألف ، وإذا كانت الألف حرفا خفيا فالفتحة أولى بالخفاء منه لأنها بعضه .

٦) وسميت حركة ماقبل الروى المقيد بالتوجيه لأن الروى المقيد موجه بها. وسمى الروى مقيدًا لعدم انطلاق الصوت به .

منازل حركات القافية

ومنازل الحركات اثنتا عشرة منزلة .

للرس منها ثلاث :

احداها أن يكون بينها وبين انقضاء البيت ثلاثة أحرف : التأسيس والدخيل والروى وذلك فى الشعر المقيد .

والثانية أن يكون بينها وبين انقضاء البيت أربعة أحرف : التأسيس والدخيل والروى والوصل ، وذلك فى الشعر المطلق الذى لاتتحرك فيه هاء الوصل .

والثالثة أن يكون بينها وبين انقضاء البيت خمسة أحرف : التأسيس والدخيل والروى وهاء الوصل والخروج .

وللحذو ثلاث منازل :

إحداها أن يكون بينها وبين انقضاء البيت حرفان : الردف والروى وذلك فى الشعر المقيد .

والثانية أن يكون بينها وبين انقضائه ثلاثة أحرف : الردف والروى والوصل وذلك فى الشعر المطلق الذى ليست فيه هاء وصل متحركة .

والثالثة أن يكون بينها وبين انقضائه أربعة أحرف : الردف والروى وهاء الوصل والخروج وذلك فى الشعر الذى تتحرك هاء وصله .

وللاشباع منزلتان :

إحداهما أن يكون بينها وبين انقضاء البيت حرفان : الروى والوصل ، وذلك فى الشعر الذى ليس فيه وصل متحرك .

والثانية أن يكون بينها وبين انقضاء البيت ثلاثة أحرف : الروى والوصل والخروج .

والتوجيه لها منزلة واحدة : وهى أن تكون قبل انقضاء البيت بحرف لأنها لاتكون الا فى المقيد .

والمجرى لها منزلتان : احداهما أن تكون قبل انقضاء البيت بحرف وذلك فى الشعر الذى ليس فيه هاء وصل متحركة .

والثانية أن يكون بينها وبين انقضائه حرفان وهما هاء الوصل والخروج وذلك فى الشعر الذى تتحرك هاء الوصل فيه .

والنفاذ لها منزلة واحدة لأنها لايكون بعدها الا الخروج.

أنواع القافية

القافية اما مطلقة واما مقيدة ولكل منهما أنواع :

فالقافية المطلقة : لها ستة أنواع ، لأنها اما مجردة من التأسيس والردف أو موءسسة أو مردوفة فهذه ثلاثة أحوال وكل من هذه الثلاثة اما موصولة بالهاء أو موصولة بحرف لين ، فيكون الحاصل ستة أنواع واليك الأمثلة :

(أ) مجردة من التأسيس والردف موصولة باللين كقولهم من بحرالطويل:

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هوانا بهاكانت على الناس اهونا

حملت الى عروة اذ نجا خراش وبعض الشر أهون من بعض

تهون علينا فى المعالى نفوسنا ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر

(ب) مجردة من التأسيس والردف موصولة بالهاء كقوله من الرجز:

ألا فتى لاقى العلا بِهَمِّهِ ليس أبوه بابن عَمِّ أُمِّهِ

(ج) مردوفة موصولة باللين كقوله من الوافر :

ألا قالت بثينة إذ رأتنى وقَدْ لاتعدَم الحسناء ذاما

(د) مردوفة موصولة بالهاء كقوله من بحر الكامل :

عفت الديار محلها فمقامها بمنًى تأبد غولها فرجامها

(هـ) موسة موصولة باللين كقول النابغة من بحر الطويل :

كليني لهمٍّ يا أميمة ناصب وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكب

(و) موسة موصولة بالهاء كقول الشاعر من بحر المنسرح :

في ليلة لانرى بها أحدا يحكي علينا إلا كواكبها

والقافية المقيدة : لها ثلاثة أنواع :

(أ) مجردة من التأسيس والردف كقول الشاعر من بحر السريع :

النشْرُ مسكٌ والوجوهُ دنا نيرٌ وأطرافُ الأكف عَنَمْ

(ب) مردوفة كقول الشاعر :

لايغرن امرأ عيشه كلُّ عيشٍ صائرٌ للزوالْ

(جـ) موسة كقول الآخر :

وغررتني وزعمت أنَّك لابنٌ في الصيف تامِرْ

وعلى الطالب أن يعين كل نوع من أنواع القافية فيما مر به من أبيات وفيما يأتي :

١- متى يبلغ البنيان يوما تمامه اذا كنت تبنيه وغيره يهدم

٢- أيها المنتاب عن عفره لست من ليلى ولاسمرهْ

٣- ألا من لقلب مسلم للنوائب أحاطت به الأحزان من كل جانب

٤- كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

٥- وأنت امروء للحزم عندك منزل وللدين والإسلام منك نصيبُ

٦- ألا رُبَّ ندمان عليّ دموعه تفيض على الخدين سَحًّا سجومها

٧- تزينُ النساءَ إذا مابدَتْ ويُبْهَتْ من حسنها من نَظَرْ

٨- كل عيش صائـــر للـــزوال

٩- لايمنعنك من بغـــــــاءِ الخيرِ تَعقَادُ التَّمائِـــــــمْ

حرف الـــروى

تقدم أن الروي هو الحرف الذى يتحتم تكرره فى آخر كل بيت مـن أبيات القصيدة وتنسب إليه القصيدة ، ولايكون الشعر مقفى إلا بوجوده. فاذا تكرر حرف واحد فى أواخر الأبيات ولم يشترك معه غيره من الأصوات كانت القافية على أصغر صورة ممكنة عند ذاك ومثال ذلك بيتا شوقـــى من قصيدة له فى انتحار الطلبة وقد سبقت منها أبيات :

راحلاً فى مثل أعمار المُنَى ذاهباً فى مثل آجال الزَّهَــرْ

هاربا من ساحة العيش ومـا شارف الغمرة منها والغُـــدُرْ

فهذه الراء التى فى آخر البيتين ساكنة ولم يلتزم معها شىء حتـــى الحركة التى تسبقها .

ولو استعرضنا الشعر العربى قديمه وحديثه فاننا سنجد أن معظم حروف الهجاء قد وقعت رويا ولكنها تختلف فى نسبة شيوعها.

فالراء واللام والميموالنون والدال والباء والسين والقـــاف والهمزة أكثرها وقوعا والتاء والكاف والعين والحاء والفاء واليـاء والجيم تليها فى وقوعها رويا .

أما الضاد والطاء والهاء فهى حروف قليلة الوقوع رويا .

والحروف التى يندر وقوعها رويا : الثاء والذال والخاء والزاى والشين والصاد والواو والظاء.

وجميع حروف المعجم يصح أن يكون رويا إلا ستة أحرف فى مواضع هى:

١- الألف فى خمسة أحوال :

(أ) أن تكون الألف ضمير المثنى نحو : قاما وضربا وأكرِما فهذه الألف تكون وصلا ولاتكون رويا ، والحرف الذى قبلها يكون هو الروى .

(ب) أن تكون الألف لبيان حركة بناء الكلمة كما فى قول الشاعر:

فقالت : صدقت ، ولكننى   أريد أعرفها من أنا

فهذه الألف تكون وصلا والحرف الذى قبلها هو الروى .

(جـ) أن تكون الألف للاطلاق وتسمى ألف الترنم أو الاشباع كما فى قوله :

أقلى اللوم عاذل والعتابا   وقولى إن أصبت لقد أصابا

على هذه الرواية لاعلى روايته بالنون ، فهذه الألف وصل،وماقبلها هو الروى .

(د) أن تكون الألف مبدلة من تنوين المنصوب وقفا ، أو مبدلة عن نون التوكيد الخفيفة وقفا ، فمثال الأولى : رأيت زيدا ، ومثال الثانية قول الأعشى :

وإياك والميتات لاتَقْرَبَنَّها   ولاتعبد الشيطانَ واللّهَ فاعْبُدَا

(هـ) أن تكون الألف لاحقة لضمير الغائبة كقوله الشاعر :

يوشك مَنْ فرَّ مِنَّ منيته   فى بعض غراته يوافقها

فهذه الألف فى (زيدا) وفى (فاعبدا) وصل وماقبلها روى، أما الألف فى (يوافقها) فليست رويا ولاوصلا وإنما هى خروج ، والروى هنا القاف والهاء وصل .

٢- الياء فى ثلاثة أحوال :

(أ) أن تكون للاطلاق وتسمى ياء الترنم والاشباع ، ويكون الروى

هو ماقبل هذه الياء ، وتكون الياء وصلا كقول الشاعر :

يزل الغلام الخف عن صهواتـه كما زلت الصفواء بالمتنزل

(ب) أن تكون ضميرا لمتكلم نحو : غلامى وكتابى ، أو ضميرا لموءنث نحو : اضربى ولاتضربى ، فهذه الياء وصل ، وماقبلها هو الروى كقولـه :

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى ونـاديت قومى فاحتسبت حياتى

رَمَوْنى بعقم فى الشباب وليتنى عقمت فلم أجزع لقول عداتى

أنا البحر فى أحشائه الدُّر كامنٌ فهل ساءلوا الغوّاصَ عن صدفاتى

فالروى هنا هو التاء والياء التى بعدها وصل .

(جـ) أن تكون الياء لاحقة للضمير المبنى على الكسر نحو: بهى، فى دارهى فهذه الياء خروج والهاء من قبلها وصلٌ والروى هو ماقبل الهاء .

٣- الواو فى ثلاثة أحوال أيضا :

(أ) أن تكون للاطلاق وتسمى واو الترنم والاشباع ، ولايكون ماقبلها إلا مضموما كما فى قول الشاعر :

مِنْ أىّ عهدٍ فى القرى تتدفّقُ وبأى كَفٍّ فى المدائن تُغْدِقُ

فالواو الناشئة من اشباع ضمة القاف وصل لاروى .

(ب) أن تكون الواو ضمير جمع وماقبلها مضموم كقول الشاعر:

قومٌ إذا حاربوا ضَرّوا عدوّهم أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

فالواو ضمير جمع وماقبلها مضموم فلا تكون رويا ، بل هى وصل والروى العين .

(جـ) أن تكون الواو لاحقة للضمير نحو : أكرمتهمو وأحسنت إليهمو ونحو قوله :

تَجَنَّوْا كأن لاوُدَّ بينى وبينهم قديمًا وحتى ماكأنهم هُمُو

فهذه الواو لاتكون رويا بل تكون وصلا.

٤- التنوين لايكون رويا سواء كان التنوين للصرف أو لغيره نحو : زيد ، وصه ، ومسلمات ، ويومئذ ، وانن .

٥- نون التوكيد الخفيفة لاتكون رويا نحو قوله السابق :

واياك والميتات لاتقربنها ولاتعبد الشيطان والله فاعبدن

فالروى هنا هو الدال ، والنون الخفيفة ليست رويا ، بل اذا قلبت ألفا كانت وصلا .

٦- الهاء فى ثلاثة أحوال :

(أ) أن تكون هاء السكت ، وهى التى تبين بها الحركة نحو : ارمه ، وادعه ، ولمه ، وفيمه ، ومثالها قول الشاعر :

بالفاضلين أولى النهى فى كل أمرك فاقتَدِهْ

فهذه الهاء التى فى آخر البيت وصل والروى هو الدال التى قبلها.

(ب) أن تكون هاء الضمير محركا ماقبلها كقول زهير بن أبى سلمى :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعُرِّىَ أفراسُ الصبا ورواحله

فالهاء التى فى آخر البيت وصل والروى هو اللام التى قبلها .

(جـ) أن تكون الهاء منقلبة عن تاء التأنيث المتحركة نحو قول الشاعر :

ثلاثةٌ ليس لها رابعٌ الماءُ والحسناءُ والخضرةْ

فالهاء فى آخر البيتوصل والروى هو الراء التى قبلها .

ما يصح أن يكون رويا أو وصلا.

هناك حروف يصح أن تكون رويا وتبنى عليها القصيدة ويصح أن يلتزم ماقبلها ليكون هو الروى وتبنى عليه القصيدة ومن هذه الحروف:

١- الألف الأصلية كألف (إذا ومتى وإلى بلى وهنا والفتى والعصا ورمى وسعى) والألف الزائدة للتأنيث نحو : ليلى وحبلى ، أوللالحاق نحو : أرطى وعلقى ، فأنت فيها بالخيار ، ان شئت جعلتها وصلا والتزمت الحرف الذى قبلها ليكون هو الروى ، وان شئت جعلتها رويا ، وقد جاءت قصائد المتقدمين على الوجهين .

فمن الأول الذى التزم فيه الحرف السابق للألف ليكون روياقوله :

لى حبيب كملت أوصافه	حق لى فى حبه أن أعهذرا
كل شىء من حبيبى حسن	لا أرى مثل حبيبى فى الورى

ومن الثانى الذى جعلت فيه الألف رويا مقصورة ابن دريد ومنها:

مَنْ ظَلَمَ الناس تحاشَوْا ظلمة	وَعَزَّ فيهم جانباه واحتمى
وهم لمن لان لهم جانبه	أظلم من حيات أنباث السَّفا
والناسُ كلا إن بحثت عنهم	جميع أقطار البلاد والقرى
عبيدُ ذى المال وإن لم يطمعوا	من غمره فى جرعة تشفى الصدا

فالشاعر قد اعتبر الألف رويا لأنه لم يلتزم حرفا قبلها.

٢- ياء النسب إذا كانت مشددة لم تكن الا رويا كقول الشاعر من بحر الخفيف :

فضع السيف وارفع السوط حتى	لا ترى فوق ظهرها أُمَوِيَّا

واذا خففت ياء النسب جاز أن تكون رويا وجاز أن تكون وصلا.

الياء الساكنة الأصلية المكسور ماقبلها يصح جعلها رويا ويصح جعلها وصلا، ومثال جعلها رويا قول الشاعر من بحر المتقارب :

أشاب الصغير وأفنى الكبيـ ـر كرُّ الغداة ومر العشي
نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجات من عاش لاتنقضي
تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة مابقي

وقد تحرك هذه الياء فتكون رويا أيضا كقوله من بحر الطويل :

يقولون : ليلى بالعراق مريضة فيا ليتني كنت الطبيب المداويا
فشاب بنو ليلى وشاب بنو ابنها وحرقة ليلى فى الفؤاد كما هيا

٣- أجاز بعضهم جعل واو الجماعة الضمير رويا مستدلا بقول مروان بن الحكم :

وهل نحن إلا مثل من كان قبلنا نموت كماماتوا ونحيا كما حَيُوا
وينقص منا كل يوم وليلة ولابد أن نلقى من الأمر مالَقُوا

والواو الساكنة المفتوح ماقبلها لاتكون إلارويا كقوله :

وأروى من الشعرشعرا عويصا ينسى الرواة الذى قد رَوَوْا

وكذلك الواو المتحركة سكن ماقبلها أو تحرك ، والواو المشددة لاتكون إلا رويا .

٤- الهاء الأصلية فى الكلمة نحو : الشبه والمتشابه والوله يصح أن تكون رويا ويصح أن تكون وصلا على أن يلتزم ماقبلها ،ووقوعها وصلا كثير كقوله من مشطور الرجز :

أُعطِيتَ فيهاطائعًا أو كارها حديقةً غلباءَ فى جدارها
وفرسًا أنثى وعبدًا فارها

فان سكن ماقبل الهاء أصلية كانت أو زائدة لم تكن إلا رويا كقوله :

قس بالتجارب أعقاب الأمور كما   تقيس بالنعل نعلاً حين تَحْذُوها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها   ودُورنا لخَرَابِ الموت نَبْنِيها

٥- كاف الخطاب ، أنت فيها بالخيار ، إن شئت جعلتها وصلا ولزمت الحرف الذى قبلها ليكون رويا ، وان شئت جعلتها رويا ،والأحسن اذا جعلتها رويا أن تلتزم ماقبلها كقول على كرم الله وجهه :

إن أخاك الحق من كان معك   ومن يَضُرُّ نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك   شتت فيك شمله ليجمعك

٦- الميم إذا سبقتها الهاء أو الكاف يصح اعتبارها رويا لكن الأحسن التزام ماقبلها ، وقد جعلها بعض الشعراء وصلا ، ومن هذا قوله :

زُرْ والديك وقِفْ على قبريهما   فكأننى بك قد نُقِلْتَ إليهما

ومنه قوله :

لبيكما لبيكما   هأنذا لديكما

أما بقية حروف المعجم فانها تقع رويا على تفاوت فى الكثرة والقلة والندرة .

الروى

الروى هو الحرف الذى تبنى عليه القصيدة وتنسب اليه فيقال : قصيدة رائية أو لاميه أو نونية ، وقد قالوا : لامية العرب أو سينية البحترى . والروى هو الحرف الذى يجب أن يلتزم بعينه وبحالته من حيث الحركة الخاصة به أو السكون فى آخر كل بيت من أبيات القصيدة فاذا تكرر حرف ساكن فى آخر كل بيت من أبيات القصيدة دون التزام

بالحركة التى تسبقه ، ولم يشترك مع هذا الحرف الساكن غيره عن الأصوات الواجب التزامها كالتأسيس والردف - كانت القافية على أصغر صورة ممكنة عند ذاك . وأنشدوا : (فيما نقل من كتاب العمدة)

أحار بن عمرو كأنى خَمِرْ

وفى القصيدة : وكندة حولى جميعا صُبُرْ

وفيها أيضا : تحرقت الأرض واليوم قَرّْ

اختلفت الحركة التى قبل الروى المقيد :

وجميع حروف المعجم يصح أن تكون رويا الاستة أحرف فى مواضع :

١) الألف فى خمسة أحوال ٢) الياء فى ثلاثة أحوال ٣) الواو فى ثلاثة أحوال أيضا ٤) التنوين ٥) نون التوكيد الخفيفة . ٦) الهاء فى ثلاثة أحوال .

وهناك مايصح أن يكون رويا أوصلا ومن هذه الحروف :

١) الألف الأصلية ٢) ياء النسب اذا خففت ٣) واو الجماعة عند بعضهم ٤) الهاء الأصلية فى الكلمة ٥) كاف الخطاب ٦) الميم اذا سبقتها الهاء أو الكاف .

وقد غطى أبو العلاء المعرى جميع حروف المعجم فجعلها رويا فى لزومياته فى أحوال السكون والتحرك ٢٨ × ٤ = ١١٢ + الألف ، فمن أراد أمثلة فليرجع الى اللزوميات .

ويقول أبو العلاء المعرى فى مقدمة اللزوميات :

٤ - فأما الروى فأثبت حروف البيت وعليه تبنى المنظومات وهو يكون من أى حروف المعجم وقع الا حروفا تضعف ولاتثبت كألف الترنم وواوه

ويائه وهاء الوقف وهاء التأنيث إذا كان ماقبلها متحركا والألف التى تلحق للتثنية فى مثل : ضربا وذهبا والواو التى تدل على الجمع اذا كان مضموما ماقبلها فى مثال : ضربوا وقتلوا وغير ذلك من الحروف فإن اتفق غير ماذكرت فهو شاذ مرفوض .

منازل الروى من حروف القافية

للروى ثلاث منازل :

١- أن يكون آخر حرف فى الشعر المقيد كما فى قول شوقى :

نشأ الخير رويدا قتلكم ... فى الصبا النفس ضلال وخسر
ليس يدى أحد منكم بما ... كان يعطى لو تأنى وانتظر

٢- أن يكون بينه وبين انقضاء البيت حرف واحد

أ- والنفس كالطفل ان تهمله شب على ... حب الرضاع وان تفطمه ينفطم
ب - واذا كانت النفوس كبارا ... تعبت فى مرادها الأجسام
ج - وما استعصى على قوم منال ... اذا الاقدام كان لهم ركابا
د- اذا كنت فى الأمور معاتبا ... صديقك لم تلق الذى لاتعاتبه

٣- أن يكون بينه وبين انقضاء البيت حرفان وهو ماتحركت هاء وصله فلزمه الخروج :

فى ليلة لانرى بها أحدا ∴ يحكى علينا الا كواكبها
يوشك من فر من منيته ∴ فى بعض غراته يوافقها

التأسيس

ألف مد غير منقلبة عن همزة ، فهي أصلية في المد ، والأصالة هنا لاتنفى أن تكون من حروف الزيادة ، لأن المقصود بغير الأصلية الألف التى أصلها همزة ثم سهلت كما فى آدم وآخر وآمن (أفعل) ففى وجوب التزام غير الأصلية خلاف .

وألف التأسيس التى يجب التزامها باتفاق تأتى فى ثلاث صور :

أ- أن تكون هى والروى فى كلمة واحدة وهى أصلية نحو:

كلينى لهم يا أميمة ناصب ∴ وليل أقاسيه بطىء الكواكب

ب - أن تكون الألف من كلمة غير كلمة الروى ولكن الروى ضمير نحو :

ألا لاتلومانى كفى اللوم مابيا فمالكما فى اللوم خيرٌ ولاليا

ألم تعلما أن الملامة نفعها قليل ومالومى أخى من سمائيا

وتضحك منى شيخة عبشمية كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا

الروى ضمير فى البيتين الأول والثانى ، أما البيت الثالث فمن النوع الأول ، ووجوب التزام ألف التأسيس اذا وقعت والروى فى كلمتها بالاتفاق ان لم تكن بدلا من الهمزة بأن كانت أصلية . فان كانت بدلا من الهمزة كما فى آدم وآخر لم يجب التزامها عند الخليل نظرا الى الأصل ، فيجوز عنده الجمع بين آدم ودرهم مثلا فى القافية . أما غير الخليل فقد أوجب الالتزام وهو الأصح . والظاهر أنه على كلا القولين يجوز الجمع بين الألف المبدلة من الهمزة والألف غير المبدلة منها نظرا إلى اللفظ ، أما وجوب التزامها والروى فى غير كلمتها فعلى الصحيح عندَ الأكثرين .

جـ ـ وقديكون الروى بعض الضمير كقوله :

فان شئتما ألقحتما أو نُتجتما ... وان شئتما مِثلاً بمِثلٍ كماهما

وان كان عَقْلاً فاعقلا لأخيكما ... بناتِ مخاض والفصالَ المقادما

(ألقحتما : أخذتما اللقاح وهى الإبل الحلوب جمع لقوح • نتجتما : أخذتما الابل النتوج أى ذات النتاج • وان شئتما مثلا بمثل أى واحد بواحد فالنفس بالنفس • كماهما : أى كما هما متماثلان ، ومامصدرية والخبر محذوف • وان كان عقلا : أى دية لأن الابل كانت تعقل بفناء ولى المقتول ثم أطلقت على الدية مطلقا ، بنات مخاض : أى ابل لها سنةوطعنت فى الثانية لأن أمها بعد سنة من ولادتها تحمل مرة أخرى فتصير من المخاض أى الحوامل والفصال جمع فصيل وهو المفصول عن الرضاع من أولاد النوق •

والشاعر يخير المخاطبين وهما وليا الدم بين هوءلاء الأمور •)

والشاهد فى قوله (كما هما) فالتأسيس هو الألف فى (كما) والروى هو الميم من (هما) وهى بعض ضمير لأن الضمير مجموعهما وقد جرى هذا على مذهب من يجعل الضمير مجموعهما • أما من يرى أن الهاء هى الضمير والألف علامة التثنية والميم حرف عماد ، فلا شاهد فيه •

واعلم أن الألف اذا كانت من غير كلمة الروى وليس الروى ضميرا ولابعضه فليست هذه الألف تأسيسا أصلا ولاتلزم اعادتها ، قال الشيخ الصبان فى شرحه على منظومته :

أما اذا كان الروى فى غير كلمتها وليس ضميرا ولابعضه فالألف ليست تأسيسا أصلا فلا تلزم إعادتها كقول عنترة :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تَدُرْ للحرب دائرة على ابنى ضَمْضَم

الشاتمى عرضى ولم أشتمهما والناذرين اذا لم ألقهما دمى

(الروى الميم والألف التى يظن أنها ألف تأسيس فى (ألقهما) ولم يلتزمها الشاعر لأن بُعْدَ الألف عن آخر القافية قاضٍ بعدم التزامها لولا مافيها من فضل المد المقصود عندهم إظهارُ الاعتناء به . فاذا انضم الى البُعْد الانفصال قوى المانع وضعف الموجب فلم تجعل تأسيسا حينئذ . وانما جعلت تأسيسا اذا كان الروى فى الكلمة الأخرى ضميرا أو بعضه لأن شدة احتياج الضمير لما قبله يعارض الانفصال ولهذا جعلوه رابطا فى الصلة والصفة والحال والخبر لطلبه لما قبله فبقى القصد إلى اظهار مافى الألف من فضل المد سالما من المُعارض ، وسميت تلك الألف تأسيسا لأنها لتقدمها على جميع حروف القافية أشبهت أس البناء. أ.هـ - رحمه الله .

يخلص مما تقدم أن ألف التأسيس تلتزم فى ثلاثة أحوال :

١- أن تكون هى والروى فى كلمة واحدة وتكون غير منقلبة عن همزة وأمثلة ذلك كثيرة .

٢- أن يكون الروى بعدها ضمير وهى فى كلمة قبله ، كما تقدم فى بيت عبد يغوث .

٣- أن يكون الروى بعدها بعض ضمير وهى فى كلمة قبله كما تقدم أيضا فى المثال على رأى .

وفيما عدا ذلك لايجب أن تلتزم ألف المد ، وكذلك إذا كانت هذه الألف منقلبة عن همزة فإنها لايجب أن تلتزم عند الخليل نظرا

الى الأصل فيجوز عنده الجمع بين (درهم وآدم) فى قافية واحـــدة ..
وقد منع ذلك كثيرون . ولكن رأى الخليل مبنى على السماع وهـــو
أولى بالقبول وفيه تيسير .

* * *

منازل بقية حروف القافية

والتأسيس له ثلاث منازل :

فالأولى أن يكون بينه وبين انقضاء البيت حرفان وذلك فى الشعر المقيد لقوله :

نهنه دموعك ان مـن يبكى من الحدثـان عاجـز

والثانية أن يكون بين التأسيس وبين انقضاء البيت ثلاثة أحرف وذلك فى المد المطلق الذى لايلزمه خروج كقوله :

يديروننى عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والأنف سالم

فألف سالم تأسيس واللام دخيل والميم روى والواو التى بعد الميم وصل .

والثالثة : أن يكون بين حرف التأسيس وبين انقضاء البيت أربعة أحرف وذلك فى الشعر الذى يلزمه الخروج كقوله : يوشك .. يوافقها

وللردف ثلاث منازل :

الأولى : بينه وبين انقضاء البيت حرف نحو :

وجامل خوع من نيبـه ∴ زجر المعلى أُصلا والمنيح

الثانية: بينه وبين انقضاء البيت حرفان نحو :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى ∴ وهل يعمن من كان فى العصرالخالى

الثالثة :بينه وبين انقضاء البيت ثلاثة حروف نحو :

فلم تبد لى يأسا ففى اليأس راحة ∴ ولم تبد لى جودا فينفع جودها

واذا كان الوصل متحركا فبينه وبين انقضاء البيت حرف ساكن وهو الذى يسمى الخروج يكون واوا أو ياء أو ألفا .

ولايكون الخروج الا آخر حرف فى البيت (أمثلة)

(فهذه خمسة أحرف لهن اثنتا عشرة منزلة : للروى ثلاث ،وللتأسيس ثلاث ، وللردف ثلاث ، وللوصل اثنتان ، وللخروج واحدة).

١٧- فاذا جاء بيت مؤسس وبيت غير مؤسس فذلك عيب يزعمون أن يسمى " السناد " وهو قليل وقد زعموا أن العجاج قال :

يادار سلمى يا اسلمى ثم اسلمى بسمسم أو عن يمين سمسم

وقال فيها :(فخندف هامة هذا العالم) ورووا أن رؤبة كان يعيب هذا من كلام أبيه . وحكى يونس أن العجاج كان يهمز (العألم) فان صح هذا فلا اسناد فى البيت .

العمدة ١ : ١٦٤

وقد أنكر الجرمى والأخفش وأصحابهما على الخليل تسمية الرس وقالوا : لامعنى لذكر هذه الفتحة لأن الألف لايكون ماقبلها الا مفتوحا ، وانما احتيج الى ذكر الحذو قبل الردف لأن الحذو قد يتغير فيكون مرة فتحة قبل ألف ، ومرة كسرة قبل ياء ، ومرة ضمة قبل واو .

عيوب القافيـــة

فيما تقدم بيان لحروف القافية وحركاتها ، ومايجب على الشاعر أن يلتزمه بذاته ، ومايجوز له أن يلتزم ببديل عنه .

فاذا بدأ الشاعر قصيدته بالردف أو التأسيس مثلا وجب عليه أن يلتزم ذلك فى القصيدة كلها ، فاذا خالف فى شئ مما يجب التزامه عُدَّ ذلك عيبا من عيوب القافية وقد أضاف العروضيون إلى هذه المخالفات بعض العيوب كالايطاء والتضمين وإليك بيانهما :

الايطاء : هو اعادة كلمة الروى لفظا ومعنى من غير أن يفصل بين اللفظين المكررين سبعة أبيات أو أكثر ، بشرط ألا يعذب الاستكثار من اللفظ فاذا عذب ذلك كان محببا ومقبولا كقول بعضهم :

محمدٌ ساد الناس كهلا ويافعا   وساد على الأملاك أيضا محمدُ
محمدٌ ما أحلى شمائله وما   ألذ حديثا كان فيه محمدُ

ومثال الايطاء المعيب قوله :

وواضع للبيت فى خرساء مظلمة   تُقَيِّدُ العِيرَ لايسرى بها السارى
لايخفض الرز عن أرضٍ أَلَمَّ بها   ولايضل على مصباحه السارى

التضمين : هو تعليق قافية البيت بما بعده بحيث تفتقر اليه فى الافادة ، ومثاله قول النابغة من بحر الوافر:

وهمْ وردوا الجِفَار على تميم   وهم أصحاب يوم عكاظ إنى
شهدت لهم مواطن صادقات   شهدن لهم بصدق الود منى

وقول الشاعر :

وليس المال فاعلمه بمال   من الأقوام الا للذىّ
ينال به العلاءُ ويبتغيه   لأقرب أقربيه وللقصىّ

وقول الآخر :

كأن القلبَ ليلة قيل يغدى   بليلى العامريةِ أو يُراح
قطاةٌ غرها شرك فباتت   تَجاذَبُهُ وقد عَلِقَ الجَنَاح

ومن الجائز قول الشاعر :

وماوجد أعرابية قذفت بها   صروف النوى من حيث لم تك ظَنَّتِ
بأكثر منى لوعة غير أننى   أطامن أحشائى على ما أَجَنَّتِ

والذى تميل اليه النفس أن ربط البيت بما بعده بل ربط القصيدة كلها بعضها ببعض شئ مقبول واقع فى كثير من النصوص المأثورة عن العرب ، وهذا رأى بعض العلماء السابقين فى بعض شواهد التضمين .

أما العيوب التى ترتبط بما قدمنا من حروف القافية وحركاتها فمنها :

١- الاقواء : وهو اختلاف المجرى وهو حركة الروى المطلق بحركة تقاربها فى الثقل وهى الكسر مع الضم وشاهد ذلك ماروى من قول النابغة :

من آل مية رائح أو مغتدى　　　عجلان ذا زاد وغير مزوودِ
زعم البوارح أن رحلتنا غدا　　　وبذاك خبرنا الغراب الأسودُ

وقد ذكرت أمهات الكتب أن النابغة حين سمع غناء بيتيه أصلح الاقواء فقال :

....　　　وبذاك تنعابُ الغرابِ الأسودِ

ومن شواهد الاقواء قول حسان بن ثابت :

لابأس بالقوم من طول ومن قصر　　　جسم البغال وأحلام العصافيرِ
كأنهم قصب جفت أسافله　　　مثقب نفخت فيه الأعاصيرُ

٢- الإصراف : اختلاف المجرى بفتح وغيره من الضم أو الكسر بأن تكون حركة حرف الروى فى البيت المتقدم فتحة ، وحركة حرف روى البيت المتقدم فتحة ، وحركة حرف روى البيت الذى بعده ضمة أو كسرة ، ومثال ذلك قول الشاعر :

أريتك إن منعت كلام يحيى　　　أتمنعنى على يحيى البكاءَ

ففى طرفى على يحيى سهاد ... وفى قلبى على يحيى البلاء

وقول الآخر :

ألم ترنى رددت على ابن ليلى ... منيحته فعجلت الأداء

وقلت لشاته لما أتتنا ... رماك الله من شاة بداء

٣- الاكفاء : اختلاف الروى بحروف متقاربة المخارج كقول الشاعر:

بنى ان البر شىء هَيِّنْ

المنطق اللين والطُّعَيِّمْ

ومثله قول أبى جهل :

ماتنقم الحربُ العوانُ منى

بازل عامين حديثَ سنى

لِمِثْلِ هذا ولدتنى أمى

٤- الاجازة : اختلاف الروى بحروف متباعدة المخارج كقوله :

ألا هل ترى إن لم تكن أم مالك ... بملك يدى إن الكفاء قليل

رأى من خليليه جفاءً وغلظةً ... إذا قام يبتاع القلوص ذميم

٥- السناد : هو مخالفة مايجب أن يراعى قبل الروى أو بعده من الحروف والحركات ، كأن يوجد الردف فى القصيدة مثلا ثم يترك فى بعضها ، وكذلك التأسيس ، أو يختلف الحذو أو الاشباع ، وفيما يلى تفصيل ذلك :

سناد التأسيس :

وهو أن يوجد التأسيس فى أبيات القصيدة ثم لايوجد فى بعضها

كقول الشاعر :

لو أن صدور الأمر يبدون للفتى كأعقابه لم تلفه يَتَنَدَّمُ

إذِ الأرض لم تجهل على فروجها وإذْ لى عن دار الهَوانِ مُراغم

قافية البيت الثانى مؤسسة دون الأول :

سناد الردف :

هو أن يكون الردف فى أبيات القصيدة ثم لايوجد فى بعضها كقول الشاعر :

اذا كنت فى حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولاتوصه

وان باب أمر عليك التوى فشاور لبيبا ولاتعصه

البيت الأول قافيته مردوفة بالواو دون الثانى .

سناد الاشباع :

هو اختلاف حركة الدخيل بحركتين متقاربتين فى الثقل كالضمة والكسرة ، كقول الشاعر :

وكنا كغصنى بانةٍ ليس واحدٌ يَزُول على الحالات عن رأى واحِدِ

تبدَّل بى خِلاًّ فخاللت غيره وخليته لَمَّا أراد تَبَاعُدِى

وقد تختلف حركة الدخيل بالفتح والكسر فتكون مخالفة أشد من الأول كقوله :

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد فأقبلت أسعى كالعجوز أبادِرُ

فشلت يمينى يوم أضرب خالدا ويَحْجُبُهُ عنى الحديدُ المظاهَرُ

سناد الحلو :

هو اختلاف حركة ماقبل الردف بحركتين متباعدتين كالفتح وغيره كقوله :

لقد ألج الخباء على جَوارٍ كأن عيونَهن عيونُ عِين
كأنى بين خافيتى غراب يريد حمامةً فى يوم غَيْن

ومثله ماجاء فى معلقة عمرو بن كلثوم :

ألا هبى بصحنك فاصبحينا ولاتبقى خمور الأندرِينَا
وقددت الأديم لراهشيه وألفى قولها كذبا ومَيْنَا

سناد التوجيه :

وهو اختلاف حركة ماقبل الروى المقيد كقول رؤبة :

وقاتم الأعماق خاوى المخترق (الراء المفتوحة)
ألف شتى ليس بالراعى الحمق (الميم مكسورة)
شذابة عنها شذى الربع السحق (الحاء مضمومة)

وهنا القاف هى الروى وقد اختلفت حركة الحرف الذى قبله كما ترى ولعلك تذكر :

أن الاشباع هو حركة الدخيل .

وأن الحذو هو حركة ماقبل الردف .

وأن التوجيه هو حركة موقبل الروى المقيد .

فهذه حركات ثلاث من حركات القافية يرتبط بها ثلاثة أنواع من السناد ، والنوعان الباقيان يرتبطان بحرفين من أحرف القافية هما الردف والتأسيس ، وأكثر هذه العيوب يمكن تحكيم الذوق الموسيقى فيها قبولا أو منعا .

تعليق على الاقواء والاصراف

(موسيقى الشعر : ٢٦١ ، ٢٧٢ ط ٣ سنة ٩٦٥) بتصرف

ولقد حدثنا أهل العروض عن عيب من عيوب الشعر سموه (الاقواء) حينا و (الاصراف) حينا آخر ، وقالوا عنه : انه اختلاف حركة الروى وزعموا أن بعضا من الشعراء القدماء قد وقعوا فى هذا العيب ويروون لهذا قصة عن النابغة الذبيانى ، ويقولون : انه نظم قصيدته التى مطلعها : (من آل مية رائح ..) وجعل حركة الروى فى أبياتها الكسرة ، الا فى بيت قال فيه :(زعم البوارح .. الأسودُ).

ثم يروون أن النابغة حين ذهب الى يثرب دفع اليه بعض نقاده بجارية غَنَّتْ أمامه هذه القصيدة ، وتعمدت أن تظهر الضمة فى كلمة (الأسود) لتشعره بخطئه فى حركة الروى ، فتنبه النابغة وحور البيت حتى صار : .... ∴ وبذاك تنعاب الغراب الأسود

ويروون لحسان بن ثابت :

لابأس بالقوم من طول ومن قصر ... جسم البغال وأحلام العصافير
كأنهم قصب جفت أسافله ... مثقب نفخت فيه الأعاصير

كل هذا يرويه أهل العروض ويتحدثون عنه ، مثل هذه الروايات يجب أن تعد خطأ نحويا لاخطأ شعريا ، فالشاعر صاحب الأذن الموسيقية والحريص على موسيقى القافية لايعقل أن يزل فى مثل هذا الخطأ الواضح الذى يدركه حتى المبتدئون فى قول الشعر بله النابغة وأمثاله من شعراء فحول ، والذى أرجحه أن النابغة قد نطق البيت :

وبذاك خبرنا الغراب الأسود

وكسر الدال فيه لينسجم مثل هذا النطق مع باقى أبيات القصيدة من الناحية الموسيقية تلك التى يعنى بها الشاعر ويراعيها مراعاة

تامة . كذلك لابد أن حسان بن ثابت قد نطق بيته هكذا :

كأنهم قصب ... الأعاصيرِ

وبذلك يكون الشاعر قد أخطأ فى قواعد النحو لا فى الموسيقى الشعرية وهو مايمكن تصوره ... واحتمال خطأ الشاعر القديم فى قواعد النحو أقرب الى العقل من احتمال خطئه فى أبسط قواعد الموسيقى الشعرية . وعلى هذا فما يسمى بالاقواء أو الاصراف لاوجود له فى الشعر العربى قديمه أو حديثه .

قد يختلف حرف الروى أو يختلف مايراعى قبله من حركة أو حرف ، وضح ذلك كله مع التمثيل لكل ماتذكر ، وبين آراء العلماء فى سناد التوجيه .

والواجب أن تبحث أمثلة الاقواء والاصراف فى شعر القدماء بين شواهد النحو وألا يعرض لها المتحدثون عن موسيقى الشعر . وهذا الرأى سبقه كلام المتقدمين وهو قولهم : مقتضى كلام العروضيين فى نحو هذا أن كلمة الروى تقرأ على حسب مايقتضيه العامل من أوجه الاعراب مع قطع النظر عن حركة روى القصيدة ويترتب على ذلك وجود الاقواء والاصراف ، ومقتضى كلام النحاة خلاف ذلك فقد جعلوا من المواضع التى يقدر فيها الاعراب مااشتغل آخره بحركة القافية ، ومقتضاه أن كلمة الروى تحرك بحركة القافية وتقدر فيها الحركة التى هى مقتضى العامل للتعذر لاشتغال المحل بحركة القافية عملا بالموجبين ، فقد نطق العرب بحركات متساوية فى الروى لتحقيق موسيقى القافية ، وعلى هذا يكون النابغة قد قال ابتداء : وبذاك خبرنا الغراب الأسودِ بكسر الدال فللقدماء ثلاثة آراء : (١) خطأ فى القافية (٢) خطأ فى النحو

(٢) تسكين الأواخر تخلصا من الخطأين .

الاكفاء اختلاف الروى بحروف متقاربة المخارج كالنون والميم. مأخوذ من قولهم : كفأت الاناء إذا قلبته فهو مكفوء سمى به العيب المذكور لأن الشاعر قلب الروى عن طريقه المألوف نحو :

ماتنقم الحرب العوان منى .... لمثل هذا ولدتنى أمى

الاجارة : اختلاف الروى بحروف متباعدة المخارج كاللام والميم . مأخوذ من قولهم : جاز المكان أى تعداه وسمى العيب المذكور بذلك لتجاوز حرف الروى عن موضعه . والكوفيون يسمونه الاجارة من الجور وهو التعدى .

السناد : اختلاف مايراعى قبل الروى من حركة أو حرف (الردف ، التأسيس. الاشباع . الحذو . التوجيه)

تأسيس — ردف — اشباع

(١) لو أن صدور (٢) اذا كنت (٣) وكناكغصنى بانة

حذو — التوجيه

(٤) لقد ألج الخباء .. ألا هبى (٥) وقاتم الأعماق خاوى المخترق ..

فى سناد التوجيه ثلاثة آراء :

(١) مذهب الخليل : تجوز الضمة مع الكسرة ، وتمتنع الفتحة مع احداهما .

(٢) مذهب الأخفش : أنه ليس بعيب مطلقا .

(٣) مذهب كراع : أن الجمع بين الضمة والفتحة جائز ولاتأتى الكسرة مع إحداهما .

* * *

عيوب القافية (تفصيل وتعليل)

لم كان الايطاء والتضمين من عيوب القافية ؟ وما سبب تسمية كل منهما؟ عرفهما واذكر أمثلة ؟

١) الايطاء دليل على ضعف طبع الشاعر ، وقلة مادته حيث قصر فكره عن المجيء بقافية أخرى – فاذا تكرر اللفظ مع اختلاف المعنى دل ذلك على قوة طبع الشاعر لاعلى ضعفه ، لأنّ فيه من المحسنات البديعية الجناس التام .

وسمى إيطاء لما فيه من تواطوء الكلمتين وتوافقهما لفظاومعنى فان كان التكرار لفظا فقط أو معنى فقط فليس بايطاء .

الايطاء اعادة كلمة الروى لفظا ومعنى من غير أن يفصل بين اللفظين المكررين سبعة أبيات فأكثر ، ولابد ألا يعذب الاستكثار من اللفظ المكرر ، كقول بعضهم : محمد ساد الناس ...

مثاله قول النابغة من قصيدة من البسيط يرثى بها النعمان بن الحارث:

وواضع البيت .. (خرساء : أرض لاصوت بها . تقيد العير : لايطيق المشى فيها لكثرة حرها – لايخفض الرز : الصوت) .

وقد ذكر العرب عيوب القافية فى أشعارهم فى الجاهلية ولكنهم لم يذكروا الايطاء واستدل بعضهم بذلك على أن الايطاء ليس عيبا من عيوب القافية .

٢) التضمين نوعان قبيح وجائز فالأول مالايتم الكلام الا به كجواب الشرط والقسم والخبر والفاعل والصلة ونحوها ، والثانى ماتم الكلام بدونه ، وكانت الحاجة إليه تكميلا للمعنى المتقدم كالتفسير والنعت

وغيره من التوابع والفضلات .

والتضمين تعليق قافية البيت بما بعده بأن يكون السابق غير مستقل بنفسه . فان كان البيت الأول مستقلا بنفسه لكنه مشتمل على مايفتقر في تفسيره إلى الثانى فليس بعيب وسمى تضمينا لأن الشاعر ضمن البيت الثانى معنى الأول لأنه لايتم الكلام إلا بالثانى .

وانماكان التضمين عيبا لأن كلمة الروى محل الوقف والاستراحة ، فاذا افتقرت لما بعدها لم يصح الوقف عليها فخرجت عن اللائق بها ، أما إذا سلمت هى من الافتقار فلا عيب لانتفاء هذا المحذور .

وأمثلته : وهم وردوا الجفار .... وليس المال .... كأن القلب ... وماوجد أعرابية .. وقد تقدمت هذه الأمثلة

وقد ذهب بعض العلماء السابقين الى أن الايطاء ليس بعيب (شرح الصبان على منظومته : ٤٦ - المطبعة الخيرية ١٣٢١ هـ) .

ومذهب الجرمى وجماعة أن التضمين ليس بعيبه

وهذا هو الوجه لأن ماذهب إليه المتقدمون من أن البيت وحدة شعرية مستقلة يحتاج إلى إعادة النظر فيه .

إذا اختلف المجرى فما العيب الذى يلحق القافية ؟ وماسبب هذه التسمية ؟ اذكر أمثلة ؟

سقط النصيف ولم تُرِدْ إسقاطه فتناولته واتقننا باليدِ
بمخضَّبٍ رَخْصٍ كأنَّ بنانه عنمٌ يكاد من اللطافة يُعْقَدُ

من آل مية .. زعم البوارح .. لابأس بالقوم من طول ..

أريتك إن منعت ... . البكــــــاء

ففى طرفى على يحيى سهاد ∴ وفى قلبى على يحيى البلاء -

ألم ترنى رددت على ابن ليلى ....

أقوى المكان تغير وخلا عن سكانه ، والروى ذو حركة مألوفـــة فاذا غيرت فقدتغير وخلا عن حركته الأولى وهى سمة موسيقية تســوى بين أواخر الأبيات فى نوع الصوت .

صرفت الشىء اذا أبعدته عن طريقك ، والشاعر قد صرف الـــروى عن طريقه من الحركة الأولى ويسمى اسرافا ، والاسراف مجاوزة الحد..

التضميـــن

القوافى : ٦٥-٦٧ وفى الشعر التضمين وليس بعيب وان كان غيره أحسن منه . ولو كان كل ماوجد ماهوأحسن منه قبيحا - كان قول الشاعــر :
ستبدى لك الأيام .. رديئا إذا وجد ماهو أشعر منه .. فليس التضمين بعيب كما أن هذا ليس بردىء . والتضمين نحو قول حاتم :

أماوى ان تصبحصداى بقفــرة   من الأرض لاماء لدىّ ولاخمــــر

تَرَىْ أن ما انفقت لم يك ضرنى   وأن يدى مما بخلت به صفــر

وقول النابغة :

وهم وردوا الجفار على تميم   وهم أصحاب يوم عكاظ إنـــى

شهدت لهم مواطن صالحـــات   أتينهم بودّ الصدر منـــى

٦٧ - طبقات - ابن سلام

ولم يقو من هذه الطبقة ولامن أشباههم إلا النابغة فى بيتيـــن

هما قوله :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا   وبذاك خبرنا الغراب الأسودُ
بمخضب رخص كأن بنانــــه   عنم يكاد من اللطافة يعقدُ

من طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى السفر الأول (٢٤٦) :

وقلت لخلف : من يقول ؟

اذا كنت فى حاجة مرســـلا   فأرسل حكيمـــا ولاتوصـه

قال : يقال للزبير بن عبد المطلب ، فقلت : فالخليل يقول: هذا خطأ فى بناء القوافى حين يقول :

وإن بابُ أمرٍ عليك الْتَــوَى   فشاور لبيبـــا ولاتعصـــه

لقوله : " ولاتوصه " كان يقول : لايتفق هذا ، فقال خلف : أخطـــأ الخليل : نراها جائزة ،

حاشية الدمنهورى ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ :

(١٠٧) ومن قال : ان الايطاء ليس بعيب لايهمه أن تعاد كلمة الـــروى مع اتحاد لفظها ومعناها أو مع اتحاد لفظها واختلاف معناها أو غيـــر ذلك فهو لايعد تكرار كلمة الروى فى أواخر الأبيات عيبا من عيـــوب القافية .

ولاشك أن لهذا الرأى خصائص يمكن توضيحها فى ايجاز :

أولها : تقليل عدد العيوب التى تلحق بالقافية واختصار البحث فـى هذا العيب ، بمثل قولهم اعادة الكلمة بلفظها ومعناها أو بلفظهـــا

مع اختلاف معناها ، ثم البحث فى عدد الأبيات التى تفصل بين المكرر من كلمات القافية حتى لايعد هذا عيبا .

ثانيها: أن المتقدمين أباحوا اعادة الكلمة المشتملة على القافية اذا كانت محببة عند الشاعر بحيث يعذب الاستكثار من اللفظ المكرر، فاذا جاز هذا عندئذ فان اطلاق جوازه لايكون بِدْعًا من القول .

ثالثها: الرد على النقاد الذين يضيقون بقيود القافية وعدها عقبة أمام من يريد بسط القول من الشعراء .

(١٠٦) حاشية الدمنهوري : (عيوب القافية)

الايطاء : اعادة الكلمة المشتملة على الروى سواء أعيدت القافية بتمامها أم لا .

وعرفه بعضهم بأنه تكرير القافية .

والتعريف الثانى يقتضى حصر الإيطاء فى تكريرها بتمامها وليس الأمر كذلك ، لأن إعادة غير كلمة الروى لاتعد ايطاء .

ونقل عن الخليل أن الايطاء إعادة كلمة الروى سواء اتحد معناها أم اختلف .

وشرط تحقق الايطاء عند الجمهور أن تكون الكلمة المكررة فى آخر الشعر واحدة فى اللفظ والمعنى .

فاذا اختلف اللفظان بالاسمية والفعلية كذَهَبَ بمعنى مضى وذَهَبٍ بمعنى أحد النقدين فليس بايطاء عند الخليل ولاعند غيره .

ولابد أن يكون التكرار قبل أن يفصل بين البيتين سبعة أبيات أو ثلاثة أو عشرة أو أحد عشر أو ستة عشر أو عشرون على مافى ذلك من الخلاف المتقدم فى مقدار القصيدة .

ولابد كذلك ألا يعذب الاستكثار من اللفظ المكرر.

* لـــزوم ما لايلزم : ١٨

واذا جاء بيت بردف وبيت لاردف فيه فذلك سناد أيضا مثل أن يجيء (الصرف) مع (الطوف) و(القبل) مع (القول) .

وقد روى أن الحطيئة قال :

الى الروم والأحبوش حتى تناولا ... بأيديهما مال المرازبة الغلف

وبالطوف نالا خير ماناله الغنى ... وما المرء الا بالتقلب والطوف

فجاء بالطوف مع الغلف . وانما يستعملون هذا فى الواو التى قبلها فتحة أو الياء التى ماقبلها مفتوح أيضا . فاذا انضم ماقبل الواو وانكسر ماقبل الياء كمل فيهما اللين ، واستقبحوا أن يجيئوا بهما مع الحروف المصمتة مثل أن يجيئوا بيعود مع جند وزند أو بعير مع ستر وفتر.

فأما الأبيات التى تنسب الى الكاهنة التى لها حديث مع عبد الله ابن عبد المطلب أعنى قولها :

انى رأيت غمامة برقت ... بيضاء بين حناتم القطر

وظننته شرفا لصاحبه ... ماكل قادح زنده يورى

فان الواو قويت لأن بعد الراء ياء أصلية يجوز أن تجعل رويا ،ولايمتنع أن تكون لغة الكاهنة الهمز على لغة من قال (مؤسى) فهمز الواو المجاورة الضمة كما يهمزها إذا كانت الضمة فيها موجودة.

١٩- وقد يجوز أن تكون من باب السناد فان صح فهو أشنع مايكون .

من لسان العرب لابن منظور

أبو عبيدة : من عيوب الشعر السناد وهو اختلاف الأرداف كقول عبيد ابن الأبرص :

فان يك فاتنى أسفا شبابى ... وأضحى الرأس منه كاللُّجَيْنِ
فقد ألج الخباء على جَوَارٍ ... كأن عيونهن عيونُ عِينِ

ابن سيده : ساند شعره سنادا وساند فيه كلاهما : خالف بين الحركات التى تلى الأرداف فى الروى كقوله :

شربنا من دماء بنى تميم ... بأطراف القَنَا حتى رَوِينَا
ألم تَرَ أن تغلب بيتُ عز ... جبالُ معاقل مايرْتَقَيْنَا

فكسر ماقبل الياء فى روينا ، وفتح ماقبلها فى يرتقينا ، فصارت قَيْنَا مع وِينَا وهو عيب .

قال ابن جنى : بالجملة ان اختلاف الكسرة والفتحة قبل الردف عيب ، الا أن الذى استهوى فى استجازتهم إياه أن الفتحة عندهم قد أجريت مجرى الكسرة وعاقبتها فى كثير من الكلام ، وكذلك الياء المفتوح ماقبلها قد أجريت مجرى الياء المكسور ماقبلها .

أما تعاقب الحركتين ففى مواضع : منها أنهم عدلوا لفظ المجرور فيما لاينصرف الى لفظ المنصوب ، فقالوا : مررت بعمر ، كما قالوا : ضربت عمر ، فكأن فتحة راء عمر عاقبت ماكان يجب فيها من الكسرة لو صرف الاسم فقيل : مررت بعمرٍ .

وأما مشابهة الياء المكسور ماقبلها للياء المفتوح ماقبلها

فلأنهم قالوا : هذا جيب بّكر فأدغموا مع الفتحة كما قالوا : هذا سعيد دّاود ، وقالوا : شيبان وقيس عيلان فأمالوا كما أمالوا سحان وتيحان

وقال الأخفش : أما ماسمعت من العرب فى السناد فانهم يجعلونه كل فساد فى آخر الشعر ولايجدون فى ذلك شيئا وهو عندهم عيب . قال : ولا أعلم الا أنى قد سمعت بعضهم يجعل الاقواء سنادا وقد قال الشاعر :

فيه سناد واقواء وتحريد .

فجعل السناد غير الاقواء وجعله عيبا .

قال ابن جنى : وجه ماقاله أبو الحسن أنه اذا كان الأصل فى السناد انما هو لأن البيت المخالف لبقية الأبيات كالمسند اليها لم يمتنع أن يشيع ذلك فى كل فساد فى آخر البيت فيسمى به .

والمضمن من الشعر : ماضمنته بيتاه . وقيل : مالم تتم معانى قوافيه الا بالبيت الذى يليه **كقوله** :

ياذا الذى فى الحب يلحى أما	والله لو علقت منه كما
علقت من حب رخيم لما	لمت على الحب قد عنى وما

وقال الأخفش : ولو كان كل مايوجد ماهو أحسن منه قبيحا كان قول الشاعر :

ستبدى لك الأيام ماكنت جاهلا	ويأتيك بالأخبار من لم تزود

رديئا اذا وجد ماهو أشعر منه . قال : فليس التضمين بعيب ، كما أن هذا ليس بردىء .

قال ابن جنى : هذا الذى رآه أبو الحسن من أن التضمين ليس بعيب مذهب تراه العرب وتستجيزه ولم يُعْدَ فيه مذهبهم من وجهين :

أحدهما السماع، والآخر القياس ، أما السماع فلكثرة مايرد عنهم من التضمين ، وأما القياس فلأن العرب قد وضعت الشعر وضعا دلت به على جواز التضمين عندهم ، وذلك ما أنشده صاحب الكتاب وأبو زيد وغيرهما من قول الربيع بن ضبع الفزارى :

أصبحت لا أحمل السلاح ولا   أملك رأس البعير إن نفرا

والذئب أخشاه إن مررت به   وحدى وأخشى الرياح والمطرا

فنصب العرب الذئب هنا ، ... فلولا أن البيتين جميعا عند العرب يجريان مجرى الجملة الواحدة لما اختارت العرب والنحويون جميعا نصب الذئب ولكن دل على اتصال أحد البيتين بصاحبه وكونهما معا كالجملة المعطوف بعضها على بعض ... أمثلة فى اللسان .

القوافى : ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥

وأما السناد فهو كل فساد قبل حرف الروى مما هو فى القافية ، سمعت ذلك من غير واحد من أهل العلم نحو قول الشاعر :

ألم تر أن تغلب أهل عز   جبال معاقل مايرتقينا

ثم قال :

شربنا من دماء بنى عقيل   بأطراف القنا حتى روينا

وقد زعموا أن هذا البيت ليس من هذه القصيدة . كسر ماقبل الياء من (روينا) وفتح ماقبلها من (يرتقينا) وصارت (قينا) مع (وينا)

ومن السناد قول رُوءْبَةَ فى قول الخليل : .

وقاتم الأعماق خاوى المخترَقْ

ألف شتى ليس بالراعى الحمِقْ

فجاء بالكسر مع الفتح . وهذا عندنا جائز لكثرة ماجاء منه .

وقال العجاج : ياdار اسلمى ، يا اسلمى ثم اسلمى

ثم قال : فخندف هامة هذا العالـــم

فجاء بألف التأسيس ، ولم يجئ بها فى شئ من البيوت غير هذا وبيت

آخـــر : مبارك للأنبيـــاء خاتـــم

وأما ماسمعت من العرب فى السناد فانهم يجعلونه كل فساد فى آخـــر الشعر ، ولايجدون فى ذلك شيئا ، وهو عيب عندهم ..

عمدة ١ : ١٤٨ :

وقد أنشد أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصارى لعمرو بن شأس قال : والشعر مقيد :

ومابيضة بات الظليم يحفهـــا إلى جؤجؤٍ جافٍ بميثاءَ محلالْ

بأحسن منها يوم بطن قراقـــر تخوض به بطن القطاة وقد سالْ

لطيفة طىّ الكلشح مضمـــرة الحَشَا هضيم الفناق هونةٌ غير مجبالْ

تميل على مثل الكثيـــب كأنها نَقًا كلما حركْت جانبَـــه مالْ

هذا شئ لم يذكره العروضيون وهو عندهم مطلق محمول على الاقـــواء ، كما حمل قول امرئ القيس :

أحنظل لو حاميتـــمُ وصبرتـــم لأثنيت خيرا صالحا ولأرضـــان

ثياب بنى عوف طهارى نقيـــة وأوجههم عند المشاهد غـــرانْ

عوير ومَنْ مثل العوير ورهطـــه وأسعد فى ليل البلابل صفـــوانْ

فقد أصبحوا والله أصفاهُمُ بـــه أبرّ بأيمان وأوفى بجيـــرانْ

الا الأخفش والجرمى فانهما يرويان هذا الشعر موقوفا ولايريان فيـــه اقواء ، وهذا عند سيبويه لابأس به .

وقد صوب الناس قول الخليل فى مخالفة هذا المذهب وأنشد بعض المتعقبين - أظنه البازى العروضى :

ستبدى لك الأيام ماكنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزودْ

بالتقييد على أنه من الضرب المحذوف المعتمد ،قال : الا أنه يدخله عيب لترك حرف اللين وهو كثير جدا .

تعـــدد القوافى

ماذا تعرف عن تعدد القوافى ؟ اذكر أمثلة لذلك .

وصل الينا ماوصل من الشعر العربى موزونا تلتزم فيه القافية الواحدة من أول القصيدة الى آخرها . ولعل الرجز بأنواعه المختلفة يعد ضربا من ضروب تعدد القوافى إذا رغب الشاعر فى التحرر من قيد القافية الواحدة .

ومن نماذج ذلك مايـنشئه الشاعر من قصائد من مشطور الرجز، يغير القافية فيها كل بيتين كقول أبى العتاهية من قصيدة عدتها (٤٠٠٠) بيت

حسبك فيما تُبتغيه القــوت ما أكثر القوت لمن يمــوت

العيش فيما جاوز الكفافــا من اتقى الله رجا وخافــا

لكل مايؤذى وان قل ألــمْ ما أطول الليل على من لم ينمْ

وقد ظلت القصيدة العربية تلتزم وحدة القافية الى أن جاء العصر العباسى ، وشاع فيه الغناء وتعددت طرق الانشاد وأصبح بعض الشعراء يفكرون فى حاجة هؤلاء المغنين وهؤلاء المنشدين - الى شعر تتعدد فيه القوافى ، وقد استجاب قليل منهم فلبوا هذه الرغبة ، ولكنهم نظروا

الى هذا نظرة الحذر حتى بلغ ذروته فى الأندلس ، فيما عرف بالموشحات ولكن بقيت القصيدة بسماتها وصورها الموروثة فى كل مقام يقتضى قول الشعر كالحماسة والرثاء والمدح وغيرها من الأغراض التقليدية للشعر العربى ، ومازال الشعراء إلى وقتنا هذا يلتزمون نظام القصيدة العربية المعروف ، ومامن شك فى أن تعدد القوافى يمنح الشاعر فرصة الاطالة ويعين الشاعر على تحقيق أغراضه التى يهدف اليها . وربما تزيد موسيقى الشعر بتنوع القافية ولاشك أن تغيير الصوت المتكرر فى أواخر الأبيات يجدد نشاط الشاعر ويعينه على الاستمرار ، وتغيير القافية فى كل بيتين ، كالمثال المتقدم لأبى العتاهية يسمى بالمزدوج ، وهو أول ماعرف من تعدد القافية وتنوعها ، ثم جدت بعده أمثلة أخرى منها :

المشطر : يزيد على المزدوج بشطر ثالث تلتزم قافيته مع حرية تغيير القافية فى الشطرين الأول والثانى كقول العقاد :

أذن الشفاء فما له لم يحمد ودنا الرجاء ومالرجاء بمسعدى
أعدوت أم شارفت غاية مقصدى
برد الغليل اليوم وانطفأ الجوى وسلا الفؤاد فلا لقاء ولانوى
وتبدد الشملان أىَّ تبدد

المربع : تلتزم فيه قافية الشطر الرابع ، مع حرية تغيير قافية الأشطر الثلاثة الأولى كقول شوقى فى (البوسفور)

على أى الجنان بنا تمر وفى أى الحدائق تستقر
رويدا أيها الفلك الأبر بلغت بنا الربوع فأنت حر

سهرت ولم تنم للركب عَيْن — كأن لم يضوهم ضجر وأَيْن
يحث خطاك لُجّ بل لُجَيْن — بل الإبريز بل أفق أغرّ

المخمس: يقسم الشاعر قصيدته فيه إلى مقطوعات كل منها خمسة أشطر لها نظام خاص بقوافيها ، ويكون للشاعر كامل الحرية فى قوافيه ، وقد يلتزم الشاعر قافية الشطر الخامس فى كل مقطوعة من قصيدته ليظهر ربط كل منها بما قبلها ومابعدها كقول حافظ يرثى الملكة فيكتوريا :

أعزى القوم لو سمعوا عزائى — وأعلن فى مليكتهم رثائى
وأدعو الانجليز الى الرضاء — بحكم الله جبار السماء
فكل العالمين الى فناء

أشمس الملك أم شمس النهار — هوت أم ملك مالكة البحار
فطرف الغرب بالعبرات جارى — وعين اليم تنظر للبخار
بنظرة واحد تلق الرحاء

أمالكة البحار ولا أبالى — اذا قالوا تغالى فى المقال
فمثل علاك لم أر فى المعالى — ولاتاجا كتاجك فى الحلال
ولاقوما كقومك فى الدهاء

ويمكنك أن تستعين بما عرفت عن الموضحات فى دراساتك الأدبية لترى فيها نماذج لتعدد القوافى .

من مقدمة ابن خلدون

وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه فى المنثور من كثرة الأسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدى الأغراض وصار هذا

المنثور اذا تأملته من باب الشعر وفنه ولم يفترقا الا فى الوزن .

واستمر المتأخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها فى المخاطبات السلطانية وقصروا الاستعمال فى المنثور كله على هذا الفن الذى ارتضوه وخلطوا الأساليب فيه وهجروا المرسل وتناسوه وخصوصا أهل المشرق وصارت المخاطبات السلطانية لهذا العهد عند الكتاب الغفل جارية على هذا الأسلوب .

الاطلاق والتقييد : من كتاب العمدة لابن رشيق

قال أبو القاسم الزجاجي وغيره من أصحاب القوافى : " الشعر ثلاثة وستون ضربا لايجوز اطلاق مقيد منها الا انكسر الشعر ماخلا ثلاثة أضرب :

أحدها فى الكامل :

أبُنَيَّ لاتظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير

وهذا هو الضرب السابع ويسمى مذالا . وان شئت قلت : ولا الكبيرا " فأطلقته وهو الضرب السادس منه يسمى المرفل .

والضرب الثانى من الرمل وهو قول زيد الخليل :

يابنى الصيداء ردوا فرسى ∴ انما يفعل هذا بالذليل

والضرب الثالث : فى المتقارب أنشد الأصمعى وأبو عبيدة :

صفية قومى ولاتعجزى ∴ وبكى النساء على حمزة

وهو من المتقارب : ان أطلق كان محذوفا ، وان قيد كان أبتر .

* * *

الضرورة الشعرية

قال ابن جنى فى الخصائص : سألت أبا على : هل يجوز لنا فى الشعر من الضرورة ماجاز للعرب أولا ؟ فقال : كما جاز أن نقيس منثورنا على منثورهم فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم ، فما أجازته الضرورة لهم أجازته لنا ، وما حظرته عليهم حظرته علينا واذا كان كذلك فما كان من أحسن ضروراتهم يكون من أحسن ضروراتنا وماكان من أقبحها عندهم يكون من أقبحها عندنا ومابين ذلك يكون بين ذلك .

ولعلك على سابق علم بالضرورة الشعرية ، فهى فى أوجز تعريف : ماوقع فى الشعر مما لم يقع مثله فى النثر ، سواء كان للشاعر عنه مندوحة أم لا ، لأن مايخطر على الناظر فى الضرورة بعد الشاعر ليس بلازم أن يخطر على بال الشاعر عند الانشاد .

وكان ابن مالك يرى أن الضرورة هى ماوقع فى الشعر مما ليس للشاعر عنه مندوحة .

وقد علق أبو حيان على رأيه هذا فقال : لم يفهم ابن مالك معنى قول النحويين فى ضرورة الشعر ، فقال فى غير موضع : " ليس هذا البيت بضرورة لأن قائله متمكن من أن يقول كذا " ففهم أن الضرورة فى اصطلاحهم هى الإلجاء إلى الشئ ، فقال : إنهم لايلْجئُون إلى ذلك ، اذ يمكن أن يقول كذا ، فعلى زعمه لاتوجد ضرورة أصلا لأنه مامن ضرورة إلا ويمكن ازالتها ونظم تركيب آخر غير ذلك التركيب . وانما يعنون بالضرورة أن ذلك من تراكيبهم الواقعة فى الشعر المختصة به ، ولايقع

فى كلامهم النثر . وانما يستعملون ذلك فى الشعر خاصة دون الكلام، ولايعنى النحويون بالضرورة أنه لامندوحة عن النطق بهذا اللفظ ،وانما يعنون ماذكرناه ، والا كان لايوجد ضرورة ، لأنه مامن لفظ الا ويمكن الشاعر أن يغيره .

وفى الاقتراح للسيوطى : وقد اختلف الناس فى حد الضرورة ، فقال ابن مالك : هو ماليس للشاعر عنه مندوحة ، وقال ابن عصفور : الشعر نفسه ضرورة ، وان كان يمكنه الخلاص بعبارة أخرى .

والرأى أنه ربما كان ابن مالك متأثرا بالمبرد فيما كان يذهب اليه من اختلاف الرواية فى مثل قول الشاعر :

من يفعل الحسنات الله يشكرها   والشر بالشر عند الله مثلان

فقد قال المبرد . ليس فى هذا البيت ضرورة وانما الرواية هى :

من يفعل الخير فالرحمن يشكره   والشر بالشر عند الله مثلان

وليس لنا أن نستحدث من ضرورات الشعر مالم يسبق له نظير عن شعراء العرب ، كما أنه لابد أن يكون للضرورة الشعرية وجه من وجوه العربية تخرج عليه .

وينبغى أن يقتصر فى الضرورة على مايقيم وزن البيت ، أو يخلص من عيب من عيوب الشعر .

والضرورات لاتنحصر فى عدد معين ، لكن هناك أصولا ملتزمة من أصول العربية لايجوز أن تخالف مهما دعت الضرورة ، فقد جازت مخالفات كثيرة فى الشعر - على ماسيأتى من أمثلة ، لكن تمتنع المخالفة التى ليس لها وجه ، فيمتنع مثلا - الرجوع الى الأصل فى نحو : قام وباع ، وفى مضارعهما (يقوم ويبيع) ، وكذلك فى نحو : اصطبر واضطرب واطرد ،

فلا يصح أن تلجئ الضرورة الشاعر الى أن يقول : قَوَمَ وبيع ويَقْوُم ويبيع ، ولا الى أن يقول : اصتبر واضترب واطترد ، لأن هذه الأصول المقدرة لايجوز الرجوع إليها عند الضرورة ، لأنها أصول مرفوضة عند العرب .

وتنقسم الضرورات الشعرية إلى حسن وقبيح :

فالحسن منها مالايستهجن ولايستثقل كصرف الممنوع من الصرف ، وتنوين المنادى المستحق للبناء ، وقصر الممدود ومد المقصور.

والقبيح مايستهجن ويستثقل كالعدول بالكلمة عن أصل وضعها ، والنقص من الكلمة أو الزيادة فيها ، أو إبدال حرف ليس من حروف البدل ، دون أن يدل عليه ذلك دليل ومن ذلك قول الحطيئة :

فيها الرماحُ وفيها كلُّ سابغة   جدلاء محكمة من نسج سَلاَّم

فانه أراد سليمان عليه السلام ، لكنه عدل بالكلمة عن أصل وضعها فغيرها من صيغة الى صيغة أخرى ، فلو عرض هذا على من ليس عنده علم ومعرفة مافهم أن المقصود سليمان النبى الذى أَلاَنَ اللهُ له الحديدَ.

أنواع الضرورة

قسم كثير من الباحثين الضرورة الشعرية الى ثلاثة أنواع :

١- ضرورة بالحذف . ٢- ضرورة بالزيادة . ٣- ضرورة بالتغيير .

فللضرورة بالحذف أمثلة كثيرة منها :

(أ) قصر الممدود كما فى قول الشاعر :

وشط بفرقتها بارح   فصدق ذاك غراب النوى
وأضحت ببغدان فى منزل   له شرفات دوين السما

الأصل : دوين السماء ، ولكن الشاعر اضطر الى قصرها فقال:"دوين السما" وكما فى قول الآخر :

فهم مثل الناس الذى يعرفونه   وأهل الوفا من حادث وقديم

الأصل : وأهل الوفاء ، ولكن الشاعر قال : " وأهل الوفا " بقصر الممدود .

ومثله :

لابد من صنعا وإن طال السفر   وان تحنى كل عَوْدٍ ودبر (١)

(ب) ترخيم غير المنادى وأمثلته كثيرة منها قول امرىء القيس :

لنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره   طريفُ بنُ مَالٍ ليلةَ الجوع والخصر (٢)

أراد : طريف بن مالك ، فحذف الكاف من آخر (مالك) ترخيما فى غير المنادى لضرورة الشعر .

ومثله قول جرير :

ألا أضحت حِبَالُكُمُ رِمَاما   وأضحت منك شاسعة أماما

أراد : أمامة ، فحذف التاء من آخرها ترخيما فى غير النداء للضرورة .

(ج) ترك تنوين الاسم المنصرف مع استحقاقه التنوين ، كما فى قول الشاعر :

وماكان حِصْنٌ ولاحابسٌ   يفوقان مِرْدَاسَ فى مصرعه

كلمة (مرداس) كلمة منصرفة حقها التنوين هنا لكنها منعت من الصرف لضرورة الشعر ، لأن البيت من بحر المتقارب والتفعيلة

---

١) العود : البعير المسن . ودبر البعير : جرح.
٢) الخصر : البرد .

الثالثة فى الشطر الثانى هى (س فى مص) فالسين من كلمة مرداس توافق فى الوزن الفاء من (فعولن) ولابد أن يكون بعدها حركة ، لذلك امتنع التنوين هنا .

(د) حذف نون (لكن) فى قول الشاعر :

فلست بآتيه ولا أستطيعه ولاك اسقنى ان كان ماؤك ذا فضل

الأصل : ولكنِ ، فلما اضطر الشاعر الى حذف النون منها تغيير رسمها .

(هـ) حذف نون (اللذان) اسم الموصول للمثنى المرفوع فى قوله :

أبنى كليبٍ ان عَمَّىَّ اللذا قتلا الملوكَ وفكّكا الأغلالا

الأصل : ان عمى اللذان ، فاضطر الشاعر الى حذف النون فحذفها وجاز له ذلك لأن ماقبل الكلمة مثنى وهو (عمى) ومابعدها فعل اتصل به ضمير المثنى العائد على اسم الموصول من صلته .

(و) حذف مجزوم " لم " كقول الشاعر :

وعليك عهدُ الله إن ببابه أَهْلَ السَّيَالَةِ إنْ فعلْت وإنْ لم

يريد : إن فعلت وإن لم تفعل ، فحذف الفعل المضارع بعد لم وهو لايجوز إلا فى الشعر .

ومثله قول الآخر :

احفظ وديعتك التى استودعتها يوم الأعارب إن وَصَلْت وإن لم

أراد : وان لم تصل ، فحذف مجزوم لم للضرورة .

٢- وللضرورة بالزيادة أمثلة منها :

(أ) مد المقصود كما فى قول حسان بن ثابت :

قفاؤك أحسنُ من وجهه وأمك خير من المُنْذِر

(القفا) مقصور مؤخر العنق ، ولكن الشاعر مده فقال(قفاوك) لضرورة إقامة الوزن .وفى القاموس المحيط : وقد يمد. وعليه فلاضرورة.

ومثله قول الشاعر :

سيغنينى الذى أغناك عنى ... فلا فقر يدوم ولا غناء

(الغنى) مقصور أيضا ولكن الشاعر اضطر فمده .

(ب) صرف الممنوع من الصرف بتنوينه كما فى قول امرىء القيس :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزةٍ ... فقالت : لك الويلات إنك مرجلى

(عنيزة) ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث ولكنه صرف للضرورة.

ومثله قول الشاعر :

تَبَصَّرْ خليلى هل ترى من ظعائنٍ ... تحملن بالعلياء من فوق جرثم

(ظعائن) ممنوع من الصرف لأنه من صيغ منتهى الجموع ولكنه صرف للضرورة .

(ج) تنوين المنادى المبنى فى نحو قول الأحوص :

سلام الله يامطرٌ عليها ... وليس عليك يامطر السلام

(مطر) الأول منادى مستحق للبناء على الضم ، ولكن الشاعر اضطر الى تنوينه فنونه . أما الثانية فقد جاءت على الأصل بالبناء على الضم .

(د) رد النون التى يجب حذفها للاضافة كما فى قول الشاعر :

هم القائلون الخيرَ والآمرونه ... إذا ماخَشُوا من مُحْدَثِ الأمر مُعْظَمَا

كان الوجه أن يقول : (والآمروه) لكنه رد النون اضطرارا مع الاضافة فقال : (والآمرونه) .

ومثله قول الآخر :

ولم يَرْتَفِقْ والناس محتضرونــه جميعا وأيدى المُعْتَفِينَ رَوَاهِقُه

كان الوجه أن يقول : (محتضروه) بحذف النون لكنه ردها اضطرارا فقال (والناس محتضرونه) .

(هـ) رد النون فى الأفعال الخمسة مع سبقها بأن الناصبة كما فى قول ابن الدمينة :

ولى كَبِدٌ مقروحةٌ من يبيعنى بها كبدًا ليست بذات قُروح

أبى الناس ويح الناس أن يشترونها ومن يشترى ذا علة بصحيح

الوجه أن يقول : (أن يشتروها) بحذف النون لكنه ردها للضرورة .

(و) زيادة حرف المد بعد الحركة القصيرة كما فى قول الفرزدق :

تنفى يَدَاها الحَصَى فى كل هاجرةٍ نَفْىَ الدراهيمِ تنقاد الصياريف

أراد : الدراهم والصيارف ، ولكنه أشبع الكسرة التى تقع قبل الآخر فتولدت منها ياء فصارت (الدراهيم والصياريف) للضرورة .

ومثله قول الشاعر :

أعوذ بالله من العقراب الشائلات عقد الأذناب

الأصل : من العقرب ، لكنه أشبع حركة الراء فتولدت ألف للضرورة .

(ز) زيادة (أل) فى التمييز كما فى قول الشاعر :

رأيتك لما أن عرفت وجوهنا صددت وطبت النفس ياقيس عن عمرو

الأصل : (وطبت نفسا) لأن التمييز واجب التنكير عند البصريين ، ولكن الشاعر اضطر الى زيادة (أل) فقال : (وطبت النفس) .

ومن ذلك زيادتها فى العلم كقوله :

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا بأعباء الخلافة كاهله

٣- وللضرورة بالتغيير أمثلة منها :

(أ) قطع همزة الوصل كما فى قول شوقى :

الإشتراكيون أنت إمامهم لولا دعاوى القوم والغلواء

همزة الاشتراكيين التى بعد (أل) همزة وصل ، ولكن الشاعر اضطر إلى قطعها لاقامة الوزن .

ومثله قول الشاعر :

اذا جاوز الإثنين سِرٌّ فانه بِنَثٍّ وتكثير الوشاة قمينُ

همزة الاثنين التى بعد (أل) همزة وصل قطعت للضرورة .

(ب) وصل همزة القطع كما فى قول الشاعر :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله يلاق الذى لاقى مُجيرَامٌ عامر

همزة أم همزة قطع ، ولكن الشاعر وصلها للضرورة .

(ج) تقديم المعطوف على المعطوف عليه كقول الشاعر :

ألا يانخلة من ذات عِرْق عليك ورحمةُ الله السلامُ

أراد : عليك السلام ورحمة الله ، فقدم المعطوف للضرورة .

(د) اظهار الكسرة على ياء المنقوص فى حالة الجر كقول جرير :

فيوما يوافين الهوى غير ماضِيٍ ويوما ترى منهن غولا تغول

(هـ) فك واجب الإدغام كقوله :

مهلا أعاذل قد جَرَّبْتِ من خُلُقِى أنِّى أجودُ لأقوامٍ وإنْ ضَنِنُوا

تقضى القاعدة أن يقول (ضَنُّوا) بالادغام لكنه فك للضرورة .

ومثله قول الشاعر :

الحمد لله العلى الأجلَلِ الواهب الفضل الوهوب المُجْزِل

ومثل هذا تختم بدراسته كتب النحو والصرف واللغة على أنه أفرد بالتأليف من عدد كبير من العلماء على رأسهم ابن عصفور .

من مقدمة لزوم مالايلزم لأبى العلاء المعرى

فأما الروى فأثبت حروف البيت ، وعليه تبنى المنظومات ، وهو يكون من أى حروف المعجم وقع ، الا حروفا تضعف ولاتثبت الترنم وواوه ويائه وهاء الوقف وهاآت التأنيث اذا كان ماقبلها متحركا ، والألف التى تلحق للتثنية فى مثل : ضربا وذهبا ، والواو التى تدل على الجمع إذا كان مضموما ماقبلها فى مثال : ضربوا وقتلوا وغير ذلك من الحروف ، فإن اتفق غير ماذكرنا فهو شاذ مرفوض .

والروى له ثلاث منازل :

١- يكون آخر حرف فى الشعر المقيد .

٢- يكون بينه وبين انقضاء البيت حرف . ٣ - حرفان.

وأما الذى يقع بعد رويه حرفان فهو ماتحركت هاء وصله فلزمه الخروج .. فى ليلةٌ .. كواكبها .

وأما التأسيس فألف بينها وبين حرف الروى حرف يسمى الدخيل ولاتلزم إعادته كما تلزم إعادة الروى والتأسيس كقول القائل :

ألا يادیار الحمى بالأخضر اسلمى   ولیس على الأيام والدهر سالم

فألف سالم تأسيس واللام دخيل والميم روى .

وكذلك يجوز أن تقع ماقبل الياء والواو والفتحة فى الشعر المقيد فالواو كقول الراجز :

مالك لاتنبح ياكلب الدوم ∴ بعد هدوء الحى أصوات القومْ

قد كنت نباحا فما بالك اليومْ

والياء كقوله :

يمنعها شيخ بخديه الشيبْ لايحذر الريب اذا خيف الريبْ

والألف فى المقيد كقوله :

ماهاج حسانَ رسومُ المقامْ ومظعن الحى ومبنى الخيامْ

وأما أن يكون بين الردف وبين انقضاء البيت حرفان وذلك فى الشعر المطلق الذى لاخروج له .

وكقوله فى الواو المفتوح ماقبلها :

ومشيهن بالخبيب(١) مَوْرْ(٢) كما تهادى الفتيات الزُّوْرْ(٣)

وكقوله فى الياء المفتوح ماقبلها :

أيا سحاب طرقى بخير

ويجوز أن يكون الردف والروى من كلمة واحدة ويجوز أن يكونا من كلمتين لا اختلاف فى ذلك بين المتكلمين فى هذه الأشياء .

فكونهما من كلمة واحدة كقول الراجز :

إنَّ القبور تُنكح الأيامى وتُثكل الأصاغر اليتامى

والمرء لايبقى له سلامى

... ويجوز أن تجىء معها بمثل (إذا ما) وسلاما ـ والتنوين ليس من نفس البِنْيَة .

قال بشر بن أبى خازم :

فسعدا فسائلهم والرباب وسائل هوازن عنا إذا ما

لقيناهم كيف نعليهمُ بواتر يفرين بَيْضاً وهَامَا

وكذلك يجوز فى المرفوعات أن تجىء بقافية على قولك (يادو) أى يختل وتكون الهمزة مخففة لتكون ردفا ثم تقول (ألا دوا) تريد : (دوا)

---

١) الخبيب : بطن الوادى ٢) مور : تردد فى المجىء والذهاب .
٣) الزور : الزائرات .

من الدية، ثم يجوز مع ذلك (يعاد) من العيادة على أن تلحقه واو الترنم .

واذا اختلف الروى فكان مرة دالا ومرة ذالا أو سينا أو شينا أو نحو ذلك من الحروف المتقاربة فهو الذى يسمى الإكفاء قال الراجز :

قد علمت بيض يمسن ميسا ∴ ألا أزال قفة وريشا ∴ حتى قتلت بالكريم جيشا

(القفة : الشيخ الكبير القصير القليل اللحم)

وأما الحركات فمنها الرس وهى فتحة ماقبل التأسيس وقد ذكرها الخليل وابن مسعدة .

وكان الجرمى يقول: لاحاجة إلى ذكر الرسّ لأن ماقبل الألف لايكون إلا مفتوحا ، وهذا قول حسن إذا كانوا أوقعوا التسمية على ما تلزم إعادته فإذا فقد أخل ، وهذه حركة لايجوز عندهم أن تكون غير الفتحة ولاحاجة الى ذكرها فيما يلزم .

(بتصرف) الاشباع حركة الدخيل ، ويقال : ان الخليل لم يذكر الاشباع ، وإن سعيد بن مسعدة ذكره ، فيجوز أن يكون اسما وضعه .ويجوز أن يكون تلقاه عمن قبله من أهل العلم .. وهذه الأسماء الموضوعة لايعقل مثلها سكانُ العَمَد ، فإن كانت تُلُقِّيَتْ عن العرب فيجب أن يكون من أخذ عنه يعرف حروف المعجم ويقرأ الصحف ، وقد كان فيهم رجال يقرءون ويكتبون ويعرفون مواقع الحروف .

وقد ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام فى " المصنف " بابا للقوافى وأسند بعض ألقابها عن الشيوخ ، فهذا يدل على أنه كان يعتقد أنها مأخوذة عن العرب كما تؤخذ عنهم اللغة . فإن كان الأمر على ماذهب

اليه فيحق أن يكون المأخوذ عنه متميزا من الطغام لايجهل منزلة الميم من النون ، ولا الباء من الفاء .

وقد توسع الذين وضعوا كتب القوافى فى الاشباع حتى جعلوه حركة ماقبل الروى فى الشعر المطلق وان كان غير مؤسس فقالوا فى قول الأخطل :

عفا واسطٌ من آل رضوى فَنَبْتَل   فمجتمع الحُرَّيْن فالصبرُ أجمل

فتحة التاء فى (نبتل) والميم فى (أجمل) إشباع . ولايحسن أن يكون الأمر كذلك لأن هذه الحركة ليست لازمة ولاينكر تغيرها السمعُ ، وانما تنكر الغريزة تَغَيُّرَ حركة الدخيل ، واذا أصابها التغيُّر فهو سناد .

وأكثر ماجاءت حركة الدخيل كسرة فاذا جاءت الضمة أو الفتحة فذلك هو المكروه ، والضمة مع الكسرة أيسر لأنهما أختان ، والفتحة معهما أشنع ، ويدلك على ذلك أن مجيئهم بالضمة مع الكسرة أكثر من مجيئهم بالفتحة مع إحدى الحركتين ، وقد جاء النابغة بالضمة مع الكسرة فى غير موضع من شعره فقال فى العينية : يردن إلاَّ الأسيرُهُنَّ التدافُع فضم الفاء ، وحركة الدخيل مكسورة فى كل أبيات القصيدة سوى هذا البيت .

واذا انفتح ماقبل " الواو " حسن عندهم أن تجئ مع الياء المفتوح ماقبلها ولم يروا ذلك عيبا كما قال بعض اللصوص :

أقلى على اللوم صاحبةَ الذيل   فلا بد أن تستطرد الخيل بالخيل

ثم قال فيها :

أُصَدِّق وعدى والوعيد كليهما   ولاخير فيمن لايرى صادق القول

ولم يفرقوا بين المقيد والمطلق فى مجئ الواو المضموم ماقبلها مع الياء المكسور ماقبلها والياء التى قبلها فتحة مع الواوالتى ماقبلها مفتوح.

وأنا أفرق بين المطلق والمقيد ، وأعده فى المقيد أشد لأن الروى لايكون بعده مايعتمد عليه ، وأما الألف فلا يشركها غيرها فى المطلق ولا المقيد .

ومن الحركات التوجيه وهو حركة ماقبل الروى فى الشعر المقيد . وكان الخليل يرى الضمة مع الكسرة جائزة وينكر معهما الفتحة وزعموا أنه كان يجعله من السناد ، وكان سعيد بن مسعدة لايرى ذلك عيبا لكثرة ما استعمله الفصحاء . قال أبو ذوءيب :

عرفت الديار لأم الرهيـ ـن بين الظُّبَاء فوادى العُشَر

ثم قال : فجاء وقد فصلته الجنو ب عذب المذاقة بُسْرًا خصر

ومن الحركات المجرى وهى حركة حرف الروى ، فاذا اختلفت فهو الإقواء . وأكثر ما يجئ فى المرفوع والمخفوض ، ويقال : انهم اجترأوا على ذلك لأنهم يقفون على الروى بالسكون ، وانما أجازوا ذلك فى المرفوع والمخفوض وكرهوا الفتحة أن تجئ مع الكسرة أو الضمة ، فأما الخليل وابن مسعدة فلم يذكراه.

واذا حكم بالوقف على القافية فلا فرق بين الحركات الثلاث .. وانما يكثر الإقواء اذا كان الوصل غيرهاء فأما إذا كانت الهاء بعد الروى وكانت متحركة أو ساكنة ، فانهم يلزمون فى الروى حالا واحدة . وقد جاءت أشياء فى شعر الإسلاميين على اختلاف الروى فى الحركة وبعده الهاء كقول عمران الخارجى :

الحمد لله الـــذى يعفوويشتد انتقامـــه

وقال فيها : فهناك مجزأة بن ثَوْ رٍكان أشجع من أسامـــــه

فاذا جاء فى الشعر شىء قد اتفق أن يلتزم قائله شيئا غير هذه اللوازم فهو متبرع بذلك كقول كثيّر :

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلّت

فلزم اللام المشددة قبل التاء إلى آخر القصيدة .

وقال كثيّر أيضا :

أدارا لسلمى بالنياع فحمّةٍ سألت فلما استعجمت ثم صُمّت

فلزم الميم كما فعل باللام.

قال عمرو بن معديكرب :

لما رأيت الخيل زَوْرًّا كأنها جداولُ زرع أرسلت فاسبطرت (١)

فلزم الراء المشددة قبل التاء ، ولو جاء فيها بشلت وجمت لم يعب عليه .

وقد يلزمون التشديد فى الروى كما قال النابغة :

عرفت منازلا بعريتنـــات فأعلى الجزع للحىّ المبنّ

فلزم التشديد إلى آخر القصيدة .

وكذلك قول الآخر :

إن بالشِّعب الذى دون سلـــع لقتيلًا دمـــه مايطـــلّ

شدد الروى فى كل الأبيات .

والأكثر ألا يلزموه كما قال الحطيئة :

أولئك قوم إن بَنَوْا أحسنوا البنا وإن وعدوا أوفوا وإن عقدوا شَدُّوا

---

١) اسبطرت : استقامت .

فشدد فى أبيات وتركه فى غيرها وأول القصيدة :

ألا طرقتنا بعد ماهجعوا هند وقد سرن خمسا واتلأب بنا نجد[١]

وقال المقنع الكندى :

وإن الذى بينى وبين بنى أبى وبين بنى عمى لمختلف جدا

إذا أكلوا الحمى وفرت لحومهم وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

ولو أن قائلا نظم قوافى على مثل : مشوق ، ووسوق ، ولم يأت بالياء لكان قد لزم مالايلزم لأن العادة فى مثل هذا المبنى أن تشترك فيه الواو والياء . وكذلك لو لزم الياء وحدها فى مثل قطبين ومعين ، وليس فى هذا من هذا النحو إلا شئ يسير .

فأما المتقدمون فقلما ينتظمون بالروى حروف المعجم لأن ما روى من شعر امرئ القيس لانعلم فيه شيئا على الطاء ولا الظاء ولا الشين ولا الخاء ونحو ذلك من حروف المعجم وكذلك ديوان النابغة ليس فيه روىّ بنى على الصاد ولا الضاد ولاكثير من نظائرهن وهذا شئ ليس بخفى.

الأبيات المنسوبة الى مروان بن الحكم جعل رويها واو الجماعة ومنها :

وهل نحن إلا مثل من كان قبلنا نموتُ كما ماتوا ونحيا كما حَيُوا

وينْقُصُ منا كلّ يوم وليلة ولابد أن نلقى من الأمر مالقُوا

لنا ولهم يوم القيامة موعدٌ سندعى له يوم الحساب اذا دُعُوا

فاذا انفتح ماقبل واو الجماعة ، نحو : عَصَوْا وغَزَوْا وقَضَوْا فالجماعة

---

١) اتلأب : امتد واستوى .

يجعلونها رويا (١) .... وسمى رويا أخذا له من الروية وهى الفكرة لأن الشاعر يرويه فهو فعيل بمعنى مفعول . وقيل : هو مأخوذ من الرِّواء وهو الحبل يضم شيئا الى شئ ، فكأن الروى شد أجزاء البيت ووصل بعضها ببعض ، أو كأنه ربط أبيات القصيدة بعضها ببعض ربطا شكليا متمثلا فى الموسيقى الظاهرة .

وقال أبو على : هو من قولهم : للرجل رَوَاءٌ أى منظر حسن فسمى رويا لأن به عصمةَ الأبيات وتماسكها ولولا مكانُه لتفرقت عَصبا ولم يتصل شعرا واحدا .

وفى الروى من التمكن ماليس فى غيره من الحروف اللازمة لأننا قد (٢) نجد شعرا خاليا من التأسيس وتارة خاليا من الردف ويوجد ماهو خال من الصلة والخروج ولايوجد شعر خال من الروى .

من كتاب منهاج البلغاء

قال حازم القرطاجنى : " ان القوافى لابد فيها من التزام شئ أو أشياء وتلك الأشياء حروف وحركات وسكون .

فقوافى الشعر يجب فيها ضرورةً علىَ كل حال إجْراءُ المقطع وهو حرف الروى على الحركة أو السكون . والذى يجب اعتماده فى مقاطع القوافى بَعينه غير متسامح فى ايراد مايقاربه معه ، وقد وقع ذلك

---

١) العيون الغامزة : ٣٤٣ .

٢) القوافى لأبى يعلى : ٦٥.

لبعض من لايحفل به من العرب الذين كانت بضاعتهم فى الشعر مزجاة .

ومما يوجبه الاختيار أيضا أن تكون حركات حرف الروى من نوع واحد لايجمع بين رفع وخفض ولاغير ذلك ، وقد وقع ذلك للفصحاء على قبح .

ومن ذلك أيضا وجوب التزام حروف العلة الواقعة سواكن بين أقرب متحرك يتلوه ساكن إلى الروى وبين حرف الروى واختصاص الألف بأول محل من ذلك وهو ماكان بينه وبين حرف الروى حرف وتلك الألف المختصة بذلك الموضع تسمى تأسيسا نحو :

كلينى لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطىء الكواكب

وقد وقع مافيه الألف مع ماليس فيه على قبح. وأكثر ماوقع من هذا أيضا ماكان الحرف المتحرك الذي بين التأسيس والروى فيه مفتوحا أو مضموما وهما صيغتان غير عريقتين فى الوضع التأسيسى ، إذ الوضع العريق فى التأسيس أن يكون المتحرك بين التأسيس والروى مكسورًا ، وأن يكون حرف التأسيس وحرف الروى من كلمة واحدة فان كانا من كلمتين جاز أن يقع مافيه صورة التأسيس مع ماليس فيه تأسيس فى قافية واحدة ولم يقبح ذلك .

فأما المحل الأقرب إلى القافية من مظان وقوع الحروف التى تلتزم وهو مايلى حرف الروى ، فتتعاقب فيه الياء مكسورا ماقبلها والواو مضموما ماقبلها ويتواردان على قافية واحدة ، وكذلك أيضا يتواردان مفتوحا ماقبلهما معا . هذا على الوجه المختار الذى عليه العمل ، وقد جاء ضم ماقبل حرف العلة وفتحه معا ، وكذلك كسره وفتحة ، كل ذلك على قبح ويسمى سنادا .

وقد يجىء مع الياء والواو المفتوح ماقبلهما ماليس فيه ياء

ولاواو على قبح أيضا ، فأما إذا كانت الواو مضموما ماقبلها والياء مكسورا ماقبلها فلا يرد معهما ماليس فيه حرف علة للطول الذى فيهما اذا كانت حركة ماقبل كليهما من جنسه ، فيصير حكمهما حكم الألف فى ذلك الموضع فى كونها لابد من إعادتها . ونخص الألف فى ذلك أنها لايجوز أن يدخل معها غيرها من حروف العلة وتسمى الألف المتميزة عن غيرها فى هذا الموضع والياء والواو المتواردتان معا أردافا .

ويستحسن فى القوافى المقيدة أن تكون حركة ماقبل الروى إما فتحة ملتزمة وإما ضمة وكسرة متعاقبتين ، وقد وردت الفتحة معهما فى مقيدات شعراء الإسلام فأما شعراء الجاهلية فيقل ذلك فى قوافى أشعارهم .

ويستحسن أيضا فيما كان من كافات الضمائر وتاءات التأنيث مقطعَ الشعر أن يُلْتَزَمَ قبلها حرفٌ بعينه ويلتزم فيه حركةٌ بعينها .ويجوز ألا يلتزم قبل ذلك حرف ، فان لم يلتزم كان الوجه أن تلتزم حركة بعينها لئلا ينضاف الى كون الروىّ ليس بمقطع كلمة وانما هو حرف زائد يعاد مع كلمة مختلفة المقاطع - أن يكون ماقبله متغيرا بأنواع الاعراب فتبعد مقاطع الأبيات بذلك عن التناسب ويقع فيه اختلاف .

ومما التزمت الحركة فيما قبله من ذلك قول الحسين بن الضحاك :

سقى الله بالقاطول مطرح طرفكا   وخص بسقياه مَنَاكِبَ قصركا

ولازالت الأقدار فى كل حالة   عُدَاةً لمن عاديت سلما لسلمكا

وقد أجازوا وقوع التغاير بأنواع الحركات وماقبل هذه الحروف الزوائد

المقفى بها ولعل ذلك قياس لاسماع وهو قبيح كيفما كان .

فأما هاءات الضمير وهاءات التأنيث المسكنة وهاءات السكت فلا يكون جميعها إلا صلاتٍ لمجارى القوافى ، ومجرى القافية هى حركتها واذا كانت القافية مطلقة ولم توصل بشىء من هذه الحروف الروادف فانما تكون صلاتها حروف مد ولين من جنس حركة القافية وقد يكون اطلاق القافية بالتنوين .

فأما مايجب فيها من جهة كونها مستقلة منفصلة عما بعدها أو متصلة به فلا يخلو الأمر فى هذا من أن تكون الكلمة الواقعة فى القافية غير مفتقرة إلى مابعدها ، ولامفتقر مابعدها اليها ، أو يكون كلاهما مفتقرا إلى الآخر ، أو تكون هى مفتقرة إلى مابعدها ولايكون مابعدها مفتقرا إليها ، أو يكون مابعدها مفتقرا إليها ولاتكون هى مفتقرة إليه .

فالقسم الأول هو المستحسن على الإطلاق . والأقسام الثلاثة أشدها قبحا مناقض القسم المتحسن . ويسمى افتقارُ أول البيتين إلى الآخر تضمينا لأن تتمة معناه فى ضمن الآخر.

والتضمين يكثر فيه القبح أو يقل بحسب شدة الافتقار أو ضعفه وأشدُّ الافتقار افتقارُ بعض أجزاء الكلمة إلى بعض ، وربما صنع قوافيه على هذا الوضع لِيُعَمِّىَ موضع القافية وهو قبيح جدا.

ويتلوه فى شدة الافتقار افتقار أحد جزأى الكلام المركب المفيد الى الآخر .

أما افتقار العمدة إلى تتمة الفضلة ، والفضلة إلى الاستناد الى العمدة فأقل قبحا من ذلك وإنما يكون هذا حيث يقوم الدلالة على المراد بالاضمار .

وافتقار المعطوف إلى مايعطف عليه إذا كان المعطوف كلاما تاما أخفّ من ذلك وأقل قبحا ، فان كان المعطوف ناقصا كان أمر الاضمار أسهل .

واذا اجتمع الاضمار والعطف وكان المعطوف تاما سَهُلَ الأمر فيه من جهة العطف وَصعُبَ أمر الاضمار فإن أظهر المضمر لم يعد ذلك تضمينا ولا افتقارا وان كان الكلام عطفا لأن الكلام يستقل بتقدير حذف الحرف العاطف ، وأيضا فقد يعطف على المقدر فيأتم الحرف العاطف صدرا .

ولكون إظهار المضمر يصير الكلام مستقلا غير مفتقر الى ماقبله قد يحتملون مافى التكرار من ثقل وذلك مثل قول الخنساء :

وان صخرا لوالينا وسيدُنا وان صخرا إذا نشتو لنحار
وإن صخرا لتأتَمُّ الهداةُ به كأنه علمٌ فى رأسه نار

ولو قالت : وانه لتأتم الهداة به فأضمرت لكان البيت ناقصا مفتقرا فانما أظهرت لفظ صَخْرٍ ثانيا وثالثا تباعدًا بالكلام عن الافتقار وقصدا لتعديل أقطاره وحسن تفصيله وتقديره ... وربما بَسّط عذرَ الشاعر فى هذا أيضا كونُه يستعذب اسم محبوبه ويريد الإشادة باسم ممدوحه فلايستثقل ذلك . وهذان أمران لايحسنان التكرار وانما يبسّطان العذر فيه فقط .

(منهاج : ٢٨٢ ، ٢٨٣ بتصرف)

الكلمة الواقعة فى نهاية الشطر الأول من البيت الأول يجب أن تكون مختارة متمكنة حسنة الدلالة على المعنى تابعة له ، ويحسن أن يكون مقطعها مماثلا لمقطع الكلمة التى فى القافية وأن يكون مابين أقرب ساكن منها الى المقطع من الحركات عدد مابين أقرب ساكن كلمة القافية وبين نهايتها من الحركات أيضا وأن يكون ملتزما فيها من

حركة المجرى أو التقييد أو التأسيس والردف والوصل بالضمائر وحروف الاطلاق وغير ذلك مما يلزم القوافى مثل ما التزم فى كلمة القافية وسائر قوافى القصيدة التى ذلك المصراع أولها ، ليكون البيت بوِجْدَانِ الشروط التى ذكرت مُصَرَّعًا .

فان للتصريع فى أوائل القصائد طلاوةً وموقعا من النفس لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها ، ولمناسبة تحصل لها بازدواج صيغتى العروض والضرب وتماثل مقطعها لاتحصل لها دون ذلك وقد قال حبيب :

وتقفو الى الجدوى بجدوى وانما يروقك بيت الشعر حين يصرع

١- قال بعض العرب لبينه : ... وأجيدوا القوافى فانها حوافر الشعر أى عليها جريانه واطراده وهى مواقفه فان صحت استقامت جَرْيَتُه وحسنت مواقفه ونهاياته .

٢- معنى تمكن القافية أن تجىء مستقرة مرتبطة بما قبلها غير قلقة فى موضعها .

٣- صحة الوضع فى القافية يرتبط بمعرفة حروفها وحركاتها وعيوبها .

أ- الروى .

ب - التأسيس - المتحرك بينه وبين الروى مكسور ، وهو والروى من كلمة واحدة .

ج - الردف - ألف تلتزم قبل الروى ، أو ياء وواو متواردتان قبل كل منهما حركة متجانسة ؛

د - كاف الضمير وتاء التأنيث يلتزم ماقبلهما ويصح أن تكونا رويا .

أما هاءات الضمير وهاء التأنيث الساكنة وهاء السكت فلا تكون إلا وصلا .

هـ - القوافي (متواتر - مترادف - متدارك - متراكب - متكاوس)

٤- اعتناء النفس بها - اختيار مايؤدى الغرض منها ، والبعد عن المعانى المشنوءة والألفاظ الكهريهة .

الصاحب فى عضد الدولة :

ضَمَمْتَ على أبناء تَغْلِبَ تاءها فتغلبُ ماكَرَّ الجديد ان تُغْلَبُ

فقال عضد الدولة : يقى الله.

٥- أن تكون مستقلة غير مفتقرة إلى مابعدها ولامفتقر مابعدها اليها..

تخلصها من التضمين .

التضمين يكثر فيه القبح أو يقل بحسب شدة الافتقار أو ضعفه.

وإظهار المضمر يصير الكلام مستقلا غير مفتقر إلى ماقبله ..

وإن صخرا لوالينا وسيدنا وإن صخرا إذا نشتو لنحار

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

٦- تأصيل القوافى - يبنى أول البيت على القافية ، أو تبنى القافية على أول البيت .

٧- المطالع والمقاطع - للتصريع طلاوة وموقع من النفس لاستدلالها على القافية قبل الانتهاء اليها :

وتقفو إلى الجدوى بجدوى وإنما يروقك بيت الشعر حين يصرع

التجميع : اخلاف ظن النفس فى القافية .

* * *

فهـــــــرس

* * *

مطبعة العمرانية للاونست
٤٨ ش زهران . العمرانية الغربية
جيزة ــ ت : ٥٣٧٥٥٠